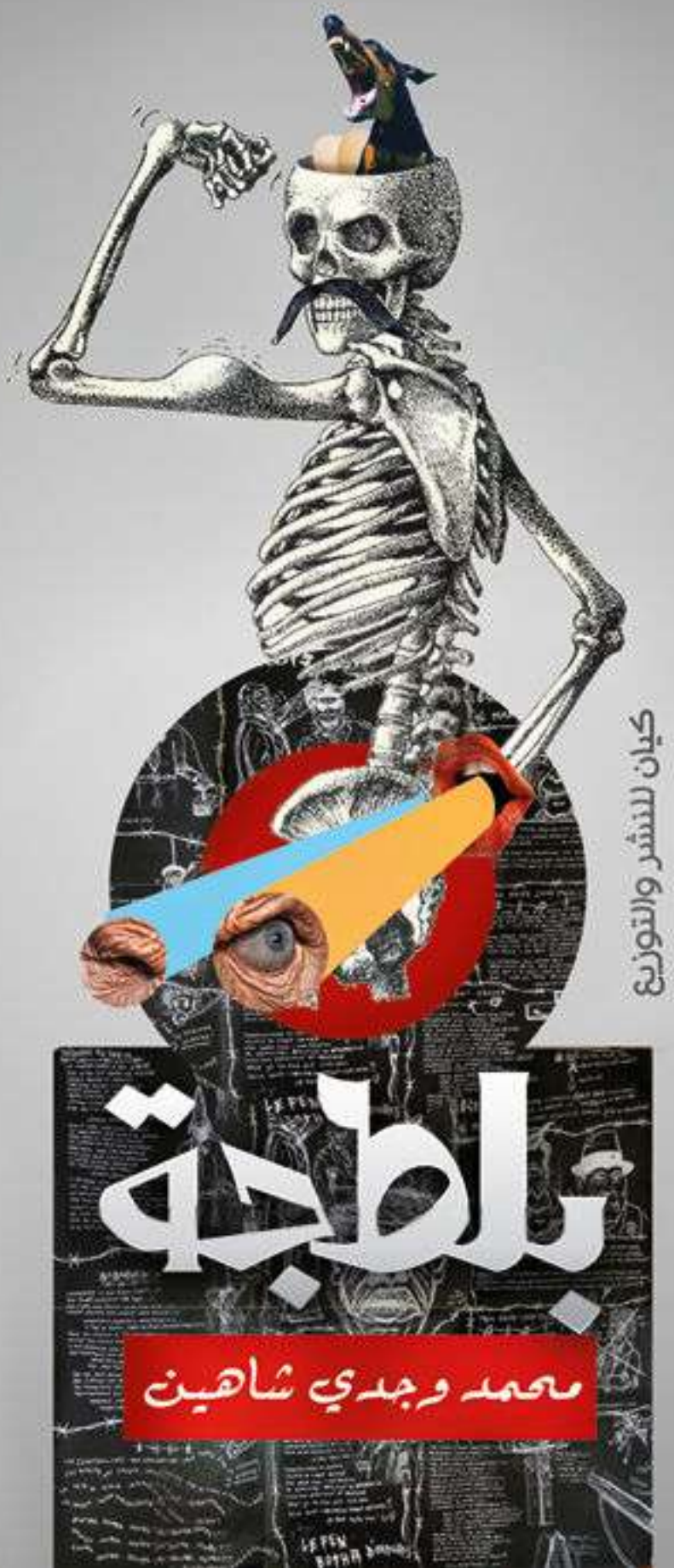

كيان للنشر والتوزيع

بلطجة

محمد وجدي شاهين

كيان
Kayan
للنشر
والتوزيع

دراعكهوليك

المؤلف:
م.محمد وجدي شاهين

رقم الإيداع:
٢٠١١/١٨٠٠

الترقيم الدولي:
٩٧٨-٩٧٧-٦٣٧٦-١١-٣

الناشر :
دار كيان للنشر والتوزيع

مراجعة لغوية:
دار كيان

أبيض وأسود :
التنسيق: كيبورد أحمد أبو زيد
تصميم الأغلفة: ماوس محمد عيد

ألوان:
الرسومات: ريشة محمد سامي
عناوين: ماوس محمد عيد

المدير العـــــام:
أحمد أبو زيد
نائب المدير العام:
محمد جميل
مدير الحسابـــات:
أحمد السيد
المدير الإعلامـــي:
رائد الهلالي
مدير التوزيـــــع:
علاء رزق

الطبعة الأولى
يناير ٢٠١١

جميعُ الحقوق محفوظة وفقًا لرخصة جنو للوثائق الحرة، وأيُ اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من المؤلف؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية القانونية.

دراعكهوليك

بقلم:
م.محمد وجدي شاهين

إهداء

إلي أبي الذي علمني كيف أكون رجلا..

إلي أمي التي علمتني كيف أكون إنسانا..

إلي زوجتي التي علمتني كيف أكون محبا..

إلي أولادي الذين علموننني كيف أكون مسئولا..

إلي أستاذي محمد عبد اللطيف جميل الذي علمني كيف أكون فردا في خدمة المجتمع..

إلي كل من صادفتهم أو قابلتهم أو تعاملت معهم وعلموني كيف أكون ناجحا..

إليكم جميعا أهديكم عرفاني بجميلكم وتقديري لمجهوداتكم معي سواء كانت بقصد أو بدون.. ولكنكم جميعا أثرتم في مسيرتي وغيرتم من حياتي.

أشكركم من كل قلبي

”

عندما نبدأ في الإستسلام لمتطلباتنا ونسمح لها أن تتملكنا وأن يصبح لها الأولويه في حياتنا بحيث ترقى إلى مرتبة الضروريات، فإننا بدلا من أن نبحث عن شرعية هذه المتطلبات فإننا نجتهد في البحث عن أي أسباب لكي نعطيها نحن صفة الشرعية التي تدعم قناعتنا الشخصية بأحقيتنا في هذه المتطلبات. وقتئذ يتولد لدينا قدرة غير عادية من الإبداع في استبدال قوة العقل بفكر الذراع.

الفهرست

تمهيد.....13

الزبالة لاتزال في بيتي.....19

الشحات العصري.....29

إشارة مرور.....39

اكسر طابور.....49

جيفيت بكشيش.....59

بلاش نصلي بقي.....69

إنتي جاية تشتغلي أيه.....79

اللهو الخفي.....89

المرور أولا.....99

درس خصوصي جدا.....109

من فوق لتحت.....119

ما ولادنا يربونا.....129

المتاح والمطلوب.....139

لسه بدري قوي.....149

شيزوفرينيا.. شيزوفرينيا.....167

ثقافة بالدراع.....177

تمهيد

لأن مصر هى موطن الإبداع في المنطقة ولأننا كمصريين نحاول جاهدين دائما إثبات قدرتنا على الإبداع، فإننا كمصريين أيضا قد تفوقنا على أنفسنا عندما أستطعنا أن نوظف كل طاقاتنا وإمكاناتنا وقدراتنا في خلق حالة من الإبداع العامة على مستوى الشعب الذي يقطن هذه البلد –التي هى عظيمة بتاريخها وإمكاناتها أيا كان قاطنيها– بحيث أصبح كل مواطن مصرى يستطيع أن يفعل أى شيء يريده في أى وقت يريده وبأى شكل يريده.

لقد تولدت لدينا ثقافة جديدة بدأت بأن أصبح كل مواطن هنا يتصف بأنه مصرى، يصدق أنه مظلوم وأنه لا يأخذ حقه في هذة البلد مثله مثل الآخرين الذين يركبون سيارة أحسن من سيارته ويعيشون في منازل أفخم من مترله ويرتادون أماكن لا يستطيع هو أو من هم مثله ارتيادها، ثم تمحور عندنا الشعور بالظلم إلى الشعور بأنهم لا يستحقون ما هم فيه وأنهم قد وصلوا إلى ما هم فيه إما لأنهم حراميه أو مرتشين أو واصلين، أى أننا تحولنا من شعورنا بالظلم إلى التصديق بإن الآخرين هم الظالمون.

و ازداد الأمر سوءا عندما بدأنا في الشعور بأننا نستحق أفضل مما نحن فيه وأن ما لدينا الآن –أيا كان– هو فقط لسد الرمق وأن السبيل الوحيد لأن نحقق متطلباتنا هو أن نجد الطريقه التي تمكننا من أن نأخذ ما نريده.. لا أن نجني ما نستحق.

و عندما بدأنا بالتشبع بهذا المبدأ الأنوى لم يكن هناك بُد من أن نضفى الشرعية على هذه المتطلبات من خلال تجريم الآخرين وإستحلالهم بالتبعية.

وفى غياب القيم الاجتماعية وتسطيح الدين إلى الحد الذي وصل بالحجاب عند المرأة لأن يكون فقط غطاءَ شعر فوق بنطلون جينـــز وبادي قد التصق بالجسد، ووصل بطول اللحية وقصر الجلباب عند الرجل لأن يكون هو معيار التدين، فقد نمت لدينا القناعة بأن هذه الثقافة الجديدة –ثقافة الذراع– هى السبيل الوحيد لتحقيق متطلباتنا بل واستطاع الكثير منا أن يُقنع نفسه أن ما يفعله هو حلال.. حلال لإن الآخرين الذي يتم استحلالهم هم حرام.. حرام.

ولكن المشكلة الكبري هي أن كل واحد فينا أصبح على قناعة تامة أنه في طريقه لتحقيق متطلباته كما يراها، فإنه يقف في جهة الحلال.. حلال، بحيث لم يبقَ أحد منا ليقف على الجهة المقابلة. لذا فقد قبلنا أن نستحِل أنفسنا بأنفسنا ونحن نقف جميعا في نفس الجهة، ونطبق نفس المبدأ، ونقبل أن نستحِل ونُستحل.

قد يختلف معى الكثيرون من مثقفي مصر أن ثقافة الذراع قد تفشت اليوم في عموم الشعب المصرى وأنها موجودة ولكن في فئة معينه ولايمكن تعميمها.

وأنا لن أختلف معهم ولكننى أؤكد أن من كان منّا لا يطبق ثقافة الذراع في شق الاستحلال فهو بالتأكيد يقف على الجهة المقابلة مُستحَل، ولا يستطيع أن يدفع عن

نفسه تهمة أنه شريك ولو بالسكوت على هذه الثقافة التي انتشرت وتفشت فينا وقبلناها كأمر واقع نعمل جاهدين على التعايش معه بدلاً من أن نستميت في تغييرها.

إنني في هذا الكتاب لاأريد إثبات وجهة نظر على الأخرى، ولكنني فقط قد قمت برصد بعض المواقف الحياتية اليومية التي تمر بنا جميعا كل يوم، ومنا من يقبلها لأنها أصبحت عادة يومية لا يمكن تغييرها ومنا من يتأفف منها ولكن يكتفي بإرجاع الأمر إلى صاحب الأمر وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله والبعض الأخر قد يرى أن الحكومة هي المسئولة وإن لم تعمل على إصلاح البلد فلن ينصلح حال قاطنيها، والنذر القليل يحاول الإصلاح وعندما يصطدم بالأغلبية؛ يفقد الأمل ويستسلم إلى الواقع المرير الذي نعيشه، أما مَن يحاول التصدي لهذه الثقافة بقوة، فإنه بكل تأكيد سيصبح إما مخالفا للجماعة أو متفذلكا أو عاملا فيها أفندي ويصبح في هذه الحالة مُستحَلاً لإنه أصبح من وجهة نظر الجماعة يقف في جهة الحرام.. حرام.

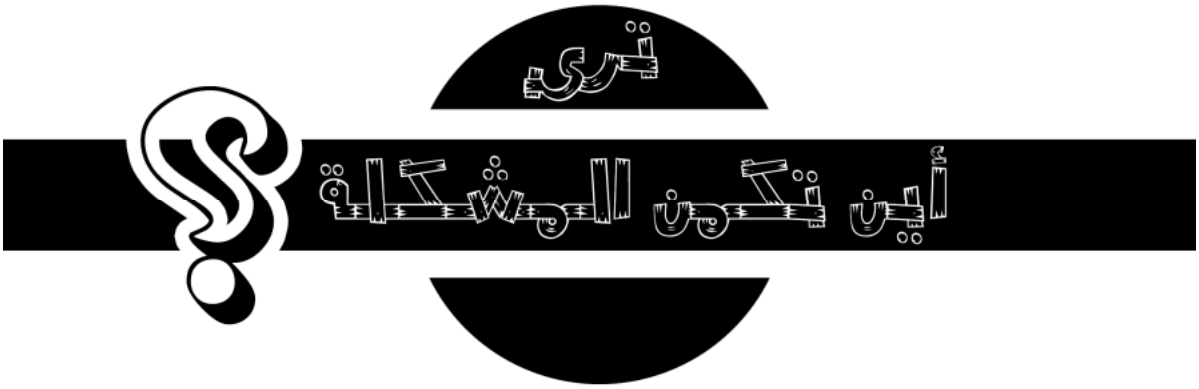
ترى
أين نحن الآن؟

الزبالة لا تزال في بيتي

الزبالة لا تزال في بيتي

منذ حوالي أربعين عاما كنت أعيش في منطقة بحرى بجوار كورنيش الإسكندرية، وما أدراكم ما الإسكندرية في هذا الزمان الجميل.

فى هذا الوقت من الزمان كنا على قناعة تامة أن عكس مدلول كلمة نظافة –لدى الشعب السكندري بالخصوص– تعني فقط عدم الاستحمام.. نعم عدم الاستحمام.

لم نكن نعلم شيء عن قذارة الشوارع ورمي المخلفات في الشوارع، لأن الشوارع كانت نظيفة.. دائما نظيفة بالشكل الذي لم نكن معه نحاول التفكير في معنى مصطلح شوارع غير نظيفه (شوارع قذرة)، لإن النظافة كانت هي الأساس وما غير ذلك هو استثناء إذا أمسينا به؛ أصبحنا بدونه.

فى كل صباح وأنا ذاهب إلى المدرسة كنت أرى عم (زخارى) الزبال وهو على عربته الكارو الخشبية التي يجرها بغلٌ قويٌّ يقف على ناصيه الشارع ليجمع كل أكياس وأكوام الزبالة الموجودة في مكان محدد تم الإتفاق عليه بين أهالي المنطقة، وإن لم يُحدد بسلطة الحكومة أو بطلب من الحي أو بتوجيهات من المحافظة، كان المكان هناك وكأنه قد كُتب عليه مكان وضع الزبالة –وإن لم يكن مكتوبا– ولكنه كان معلوما لدينا جميعا أن هنا سيأتي عم (زخاري) الزبال ليجمع القمامة في الصباح الباكر فكنا جميعا نلتزم بدون طلب التزام.

كان عم (زخاري) يصحب معه كل يوم ابنه الصغير –الذي لم أعرف اسمه حتى الآن– ليعمل معه، وكنت دائما أراه منكفأ على الأرض وهو يمسك بيده لوحا خشبيا ليجمع بقايا الزبالة التي تناثرت على الأرض ويلقيها في العربة.

لم تكن مهمة عم (زخاري) فقط هي أن يجمع الزبالة في العربة ويأخذ الشهرية، ولكن كانت مهمته الأساسية هى أن ينظف الشارع من الزبالة التي نلقيها نحن، لهذا كان يستخدم ابنه الصغير ليجمع كل القاذورات التي وقعت من الأكياس، سواء لإننا لم نغلق الأكياس جيدا أو بفعل القطط التي كانت تقتات مساءً من هذه الغنيمة، حتى يكون المكان الذي يلقي فيه الزبالة كل يوم نظيفا تماما خلال اليوم.

كان الشيء الملفت للنظر أن هذا الولد الصغير كان يؤدي مهمته بكل جدية ولم يكن يفكر قط أن يترك مهمته التي أوكلت إليه لكي يقوم بالعمل الأسهل نوعا من حمل الأكياس وإلقائها في العربة، ولكنه كان ينحني على الأرض وبيده الجاروف الخشبي وبكل الهمة يجمع القاذورات ويرفعها ليلقيها في العربة وعلى وجهه إبتسامة ملائكية تنمُّ عن الرضا والسعادة لإنه يعمل على أداء وظيفته وينفذها في صمت بكل دقة، لدرجة أننا كنا نجد المكان بعد انتهاء عم (زخاري) من عمله نظيفا وكأنه لم يكن فيه ما كان.

كنت أتعجب كل يوم من هذا الصبي الذي لم يكن يذهب مثلنا للمدرسة ولكنه يعمل مع أبيه ويساعده في عمله الذي نراه اليوم مقززا وإن كنا وقتها لانراه هكذا.. كنا جميعا نعلم أن هذا الرجل وابنه هم الذين يُدخلون السعادة علينا بعملهم هذا ولم يكن أحدٌ منا يجرؤ على التهكم على هذا الرجل أو أن يعامله بشيء من الاحتقار.

لقد فرض الرجل علينا احترامه ليس لبنيانه القوي أو لسانه الزالف ولكن بتفانيه في عمله الذي كان يتقنه آي أتقان، ويفهم تماما ماهية مهمته بالرغم من عدم وجود أحد يراقبه ليسجل مستوى أدائه المهني أو ليحدد بالتبعية راتبه أو يوقع عليه خصومات عند تقصيره.

لطالما احترمت عم (زخاري) ولم أكن وقتها أقول له سوي عم (زخاري) بالرغم من جلبابه الرث وشكله الفظ ولكنه كان ولايزال عم (زخاري) رمز النظافة في منطقة بحري بالإسكندرية.

المدهش في الأمر أن مهمة نظافة الشارع لم تكن موكولة فقط لعم (زخاري) ولكن مع بداية وقت الضحي تبدأ المحلات في فتح أبوابها وكان هناك طقوس أخرى للنظافة ثابته يعرفها جيدا من عاش في هذه الحقبة في الإسكندرية.

تبدأ هذه الطقوس بفتح أبواب المحلات والبدء في تجهيز وتنظيف المحل من الداخل وترتيب البضاعة ثم يبدأ العمل الخارجي وفي خلال نصف ساعة (من الساعة التاسعة والنصف وحتي الساعة العاشرة) نجد العاملين بالمحلات بالتناوب يقوم كل منهم منفردا بتنظيف الشارع أمام المحل، وذلك بإزالة التراب عن واجهة المحل والبدء في كنس الأتربة ثم رش الماء أمام المحل في منظومة غريبة غير متفق عليها ولكنها تعمل بتناغم غريب جدا، كل محل ينظف أمامه ويسحب الأتربة إلى مكان في طرف الشارع ليبدأ من هو بعده وهكذا ثم يبدأون في رش المياه.

كنت إذا مررتَ بالشارع بعد الساعة العاشرة صباحا تجده نظيفا مغسولا يشع بالنظافة بالشكل الذي قد يوحي لبعضنا الآن أن هناك مسئولا كبيرا سيمر بالمنطقة وأن الحي يقوم بعمله على أكمل وجه في الترتيب لزيارة السيد المسئول لحينا المتواضع ولكن حقيقة الآمر أننا في هذا الوقت من الزمان كنا قد أستغنينا عن خدمات الحي بتوزيع الأدوار علينا، وكان كل واحد منا يقوم بعمله بمنتهى الجدية والإتقان وكأنه مكلف من قبل أهالي المنطقة والحي بل والمحافظة لهذا العمل.

طاف كل ذلك بخاطري عندما كنت أتأهب للنزول من البيت وأثناء انتظاري للمصعد شاهدت (رامي) الزبال وهو يقف على الدرج حيث اعتدنا أن نقوم مساء كل يوم بتجميع الزبالة في كيس أسود كبير وإحكام غلقه جيدا ومن ثم وضعه في صندوق

خاص بكل طابق حيث يأتي (رامي) الزبال صباح كل يوم لجمع هذه الأكياس المقفلة بعناية والنزول بها.

في أثناء انتظاري للمصعد رأيت الأستاذ (رامي) الزبال يقوم بفتح الأكياس وإفراغ بعض محتوياتها ووضع بعض الأشياء بجانب صندوق الزبالة ويلقي بباقي الكيس في القفة التي يحملها مما استرعي انتباهي وجعلني أستوقفه وأسأله:

أنا: إنت بتعمل أيه؟

رامي الزبال: أبدا يابيه، بس الحاجات دي تقيله قوي وموش حاقدر أنزل بيها

أنا: أيوه بس إنت بتفتح الأكياس وبتوقع الزبالة على الأرض

رامي الزبال: طب وأنا أعمل أيه يعني، ما أنا برضه بني أدم وماقدرش أشيل الحاجات دي كلها

أنا: طب والحاجات اللي على الأرض دي مين حيشلها؟

رامي الزبال: البواب يابيه، ماهوه حايطلع بعد شوية ينظف السلم

أنا: يعني إحنا بندفع لك كل شهر علشان تنقي الزبالة اللي إنت عايزها وتسيب الباقي وكمان تشغل البواب علشان يلم وراك

رامي الزبال: والله انا ماقدرش على كل ده وبعدين دي الشهرية اللي بنخدها منكم ولامؤخذاه ملاليم ولو تعابنين قوي بلاش منها خالص وأديكوا بتدفعوا للحكومه مع الكهربا رسوم للنظافة. خلاص خللي الحكومة تنظف مادام بتدفعولها هي كمان ولا لامؤخذاه ماقدرتوش علي ... لا مؤخذاه وحتقدروا علينا إحنا.

أسقط في يدي، ليس لما يفعله الأستاذ رامي الزبال والذي ينم عن منتهي الجهل بمهام مهنته الأساسية والتي على أساسها تم الأتفاق معه ليقوم بها.. ألا وهي نظافة العمارة، والتي قام هو باختصارها في إزالة ما يستطيع أو ما يريد من أكياس الزبالة وأن يوكل

للبواب بفرمان شخصي منه مهمة النظافة من خلفه.. ولكن ما أدهشني حقا هو الفكرة نفسها..

لقد قرر الأستاذ رامي الزبال أن هذا هو نطاق عمله وأن الرسوم الشهرية التي ندفعها ستكون في مقابل حمل مايقرر هو من أكياس وتنزيله إلى عربته وأن هذه الرسوم لا تكفي إلا لما قد قرر هو عمله، وبمنتهي البساطه أصبح هذا القرار ملزما لنا حسب رؤيته ولا يمكننا حتى مناقشته فيه، وإلا فعلينا أن نذهب إلى الحكومة التي تأخذ منا خمسة جنيهات أخرى شهريا مضافة إلى فاتورة الكهرباء مقابل أعمال النظافة ومطالبتها بأن تساعد الأستاذ رامي في عمله.

كان وقع المفاجأة شديد للدرجة التي ألجمت لساني عن مناقشة الأستاذ رامي. ولكنني أستجمعت قوّتي وأفكاري بعدها بيومين وقررت مناقشة الأمر مع رئيس اتحاد ملاك العمارة وذهبت للتحدث معه.. وكانت المفاجأة أكثر إيلاما..

لقد اشتكى معظم السكان من معاملة الأستاذ رامي الزبال وتم مناقشة الأمر حتى تم التوصل إلى الحل الذي سيريح كل الأطراف بأن ندفع خمسة جنيهات للأستاذ رامي ليزيل مايحلو له من زبالة، ثم نقوم بدفع خمسة جنيهات أخرى للسيد البواب ليزيل ما ألقاه الأستاذ رامي أثناء تناوله مهام عمله ويقوم بوضعها بالقرب من صندوق الزبالة العمومي، ثم نقوم بدفع خمسة جنيهات أخرى للحكومة مع فاتورة الكهرباء لإزالة الزبالة الملقاة بجوار صناديق الزبالة العمومية –والتي نادرا ماتكون داخلها وتكون في العادة بجوارها– وبهذا نكون قد قسمنا العمل على ثلاث جهات والموضوع بسيط دي كلها خمسة جنيه يا باشمهندس ويمكن يكون رزق للبواب كمان ويجعله عامر.

المهم في هذه القصة الإنسانية العظيمة أن الزبالة كانت ولازالت يُلقى بها على ناصية الشارع حيث يستطيع الأعمي أن يشم رائحتها إذا لم يكن يؤذيه منظرها والذباب يتجمع فوقها والقطط تتنطط عليها لتختار ماياسب شهيتها اليوم من أطعمه.

لقد تم دفعنا جميعا لقبول الأمر الواقع الذي أعطي الحق للأستاذ رامي الزبال بأن يأخذ ما يريده أثناء زيارته الكريمة لعمارتنا في الصباح الباكر ويقوم البواب بإنزال الباقي ووضعه بجوار صندوق الزبالة العمومي والذي لا يتم تجميع الزبالة منه إلا مساءً فقط وذلك برفع الصندوق وإفراغه في السيارة، أما الزبالة التي بجانبه فإن الأكياس المقفلة فقط ترفع وتلقى في السيارة وما وقع منها أو أفرغته القطط؛ يُترك في مكانه حتى يكون علامة ظاهرة مرئية ملموسة مشمومة لكل سكان الحي أنه في هذا المكان يتم إلقاء الزبالة.

تري أين تكمن المشكلة؟

عندما تخلينا نحن بإرادتنا، سواء مجتمعه أو منفردة، عن دورنا في الحفاظ على نظافة شارعنا وأوكلنا الموضوع برمته للحكومة فإنه قد تولدت لدينا قناعة غريبة أن الحكومة تعمل لدينا وأننا نقبع في جهة العميل الذي ينتظر خدمة مميزة من القائمين على خدمتنا وجلسنا ننتظر هذه الخدمة ونقيم العاملين عليها، وعندما انحدر مستوى هذه الخدمة وأصبحت تمثل مشكلة صحية وجمالية واجتماعية لم نتحرك، بل جلسنا نلوم على الحكومة التي لا تقوم بدورها ونسينا أننا نحن المتضررين من هذا التقصير وأن تحسين مستوى الخدمة سيفيدنا نحن قبل أن يفيد الحكومة.

لقد طبقتْ علينا الحكومة ثقافة الذراع عندما أرغمتنا سواء بموافقتنا أو بعدمها على دفع مبلغ مقطوع كل شهر مقابل خدمة النظافة والتي تحولت للأسف لخدمة عكسية والدليل الزبالة الملقاة على جانب صناديق الزبالة العمومية.. وفي المقابل قام الزبال العصري بتطبق ثقافة الذراع علينا وذلك بأخذه مايريد من زبالتنا بقرار منفرد منه والباقي يجب علينا نحن التصرف فيه بطريقتنا وعلي حسابنا، وبذلك أستحلّتنا الحكومة كما أستحَلّنا أيضا الزبال العصري، وجلسنا نحن جميعا في جهة المُستحَل نلوم على الحكومة وندعو على الزبال ولا يحرك ذلك ولا تلك فينا ساكنا ونحن ندفع لهذا وذاك مقابل أن يأخذوا زبالتنا ليرموها أمامنا في شارعنا وهم يخرجون لنا لسانهم ويقولون لنا..

اللي موش عاجبه.. يشوفله عم (زخاري) يبكي عليه.

ألم يأن الأوان لأن ننتفض رافضين أن نُستحَل أكثر من ذلك؟

تخيلوا معي كم سيكون نصيب كل شقة تقع في عمارة تحتوي على الأقل على عشرين شقة إذا ماقرروا شراء أربعة صناديق زبالة كبيرة يتم وضعها أمام العمارة حيث سنجبر الأستاذ رامي على إفراغ محتويات الصناديق مباشرة في عربته طالما هو لايستطيع حملها وتنزيلها.. ولماذا لانقوم نحن بإنزال زبالتنا إلى الصناديق مساء كل يوم مثلما يفعل كل الناس في الدول المتحضرة في أوروبا وأمريكا؟

لماذا لا نعلن عن عدم استسلامنا لقوة ذراعهم ونبدأ في استعمال عقولنا لنجد الطريقة التي تجبرهم على احترام عقولنا؟

الشحات العصري

الشحات العصري

لازلت أسبح في بحر ذكرياتي في الإسكندرية حيث نشأت ورأيت وتعلمت معني الجمال في الأشياء والأماكن والمعاملات بين الناس، بل الجمال في الطلب وفي العطاء.

مر هذا بخاطري وأنا أتذكر منظر شحات مقيم في شارعنا.. شحات مقيم لأننا أعتدنا رؤيته كل يوم وهو يسير في خط ثابت من أول الشارع إلى أخره ولديه محطات ثابته يقف عندها في أوقات معينه حيث يجلس وبجانبه زوجته وابنه الصغير بدون إزعاج لأحد وبدون أن يتأفف منه أحد.

كان يجلس في المكان الذي اختاره هو بجوار أحد المحلات تارة، وتارة أخرى بجوار المسجد، وكأنما قد عقد اتفاقا غير مكتوب مع أصحاب المحلات يستطيع بمقتضاه أن يجلس أمام محلاتهم لبعض الوقت وبدون أن يُحدث فوضي أو إزعاج لرواد المكان وأن لايتعرض لأحد منهم طالبا معونه أو مساعدة.

الشيء الغريب في الموضوع أن هذا الإتفاق غير المكتوب كان ساريا ومعمولا به بمنتهي الهدوء والفعالية ولم يحدث يوما أن تذمر أحد من أصحاب المحلات من صديقنا الشحات المقيم، كما لم يحدث مرة أن حدثت مشادة ولو كلامية بين الطرفين.

كان صديقنا الشحات المقيم يسير كل يوم في طريقه تمسك بطرف جلبابه الرث

زوجته العمياء بينما يقودها هو مستندا إلى عصاه التي يقرع بها الطريق ليعلم الناس من حوله أنه هو أيضا أعمي؛ فيفسحوا له الطريق.. نعم لقد كان صديقنا الشحات المقيم أعمي يجر معه أعمًى آخر وهم يعتمدون في طريقهم على عصاهم التي كانت تقودهم وتسهل لهم طريقهم.

كان صديقنا الشحات المقيم مسالما وقنوعا جدا وعفيف اليد واللسان، لا يطلب من أحد المساعدة أبدا.. بل كان لا يطلب المساعدة إلا من صاحب الأمر وكله ثقه أنه لن يبات أبدا بدون عشاء.

أكاد أسمع نداءه اليومي المعتاد –الذي لم يكن يقول غيره قط– وهو يدوي في أذني. نعم أسمعه بنفس النغمة التي كان يقولها بها وبنفس الطريقة العفيفة القوية التي كان يستخدمها ليشعر الناس من حوله أنه لايستجديهم هُم؛ بل يستجدي صاحب الآمر، بل أنني كنت ولازلت أشعر وكأنه يبعث لهم برسالة مفادها أنهم يجب عليهم مساعدته، ليس لأنه يطلب منهم ذلك؛ ولكن لإن ذلك هو أمر إلهي وأنهم إن ساعدوه فكأنما هم سبب في رزقه الذي لم يطلبه من الناس، ولكنه كان وبكل قوة يطلبه من رب الناس ليكون هو بالتبعية دليل إيمانهم ومصداقيتهم مع الله.

استمعوا إليه وهو يسير في خطي ثابته قصيره ذات دبيب وهو يقول بكل عزة:

"أنت المساعد.. يارب

ياربي أنت أعلم.."

لا إله إلا الله.. إن هذا الرجل البسيط الأعمي الأمي لم يكن لديه أي شيء ولو قوت يومه، ولم يكن يعلم من أين أو كيف أو متي سيأتي له رزقه، ولم يكن له أحد يمكن أن

يستلف منه أو يعتمد عليه وقت الحاجة، ولكنه لم يكن قط ليذل نفسه لإنسان ولم يقبل أن يتدني بمستوى سؤاله ليتحول به إلى إنسان مثله وهو يبحث فقط عن أسباب معيشته، لا أسباب رفاهيته، يبحث عن قوت يومه لا ثمن سجائره وكان على ثقه.. كل الثقه أن الله سيرسل له ما يحتاجه.. فقط مايحتاجه لا مايريده وإن كان مايريده كثير ولكن عطاء الله أكثر.

يا سبحان الله..

أنطروا معي الآن إلى شحات هذا العصر.. وهم كثير نراهم في اليوم الواحد أكثر من مرة في أكثر من موضع بأكثر من شكل وكل منهم قد تفنن في إيجاد وسيلة يخاطب بها الناس من حوله يستعطفهم تارة وتارة أخرى يستجديهم وفي أكثر الأحوال.. يزهقهم.

كنت أقف بسيارتي في تقاطع أحدي الطرق وسط الزحام المعتاد –والذي أصبح من العلامات المميزة لهذه المنطقة– حتى وأننا كنا نفتقد هذا الزحام عندما نسير في هذا الطريق ليلا فنجد أكثر السيارات تقف قي صف ثان وثالث لتخلق زحام اصطناعي لتحقق لنا ما اعتدنا عليه في نهار اليوم من زحام.. ولكن هذا ليس بموضوعنا الآن.

أثناء انتظاري في هذا التقاطع والسيارات تسير بسرعة خمسة إلى عشرة كيلومترات في الساعة، وجدت شحاتا عصريا يقف بجانب زجاج السيارة وهو يتمتم بكلمات غير واضحه.. ولأنني من هواة معرفة طباع البشر، فقد قمت بفتح النافذة قليلا لأسمع مايقوله هذا الشخص الذي ألصق وجهه بزجاج سيارتي وجعل من البخار الذي يخرج مع أنفاسه يشكل علامة مائية على زجاج السيارة الأمر الذي يستحيل معه إزالته إلا بغسيل الزجاج –إن لم يكن بتغيير الزجاج– وذلك حتى أستطيع أن أتذكر كلامه.. نفس.. نفس

كان طلب هذا الشحات العصري غريبا بعض الشيء ولكنه أصبح معتادا هذه الأيام وهو يطلب مني جنيهين.. نعم بالتحديد 2 جنيه ليستطيع شراء ساندوتش للغداء.

لقد حدد الرجل احتياجاته حسب رؤيته وقرر فرضها عليّ من خلال وضع بصمة مائية على زجاج سيارتي ليطلب بالتحديد 2 جنيه ثمنا لوجبة الغذاء التي قرر شرائها، وبطبيعة الأمر ونظرا لأن الطريق كان يسير ببطء فإنني كنت بالتبعية أسير بسيارتي وأنا أستمع إليه مشدوها بعض الشيء، ولكن بدون أي تعليق مني وهو يمسك بزجاج السيارة ويجري بجوار السيارة وهو يكرر نفس الكلام ولكن بنغمات مختلفة تزداد حدة كلما سرت أكثر بالسيارة.

الشحات العصري: 2 جنيه يابيه

أنا: لا تعليق

الشحات العصري: 2 جنيه بس أجيب بيهم ساندوتش.. ماكلتش من إمبارح

أنا: الله يسهلك

الشحات العصري: حرام عليك يابيه.. أنا ماكلتش من إمبارح

أنا: وحرام ليه بس يابني.. الله يسهلك

الشحات العصري: موش حرام إنتوا تأكلوا وإحنا لأ.. والنبي يابيه

أنا: ياعم قولتلك.. الله يسهلك..

الشحات العصري: يابيه.. ماكلتش من امبارح.. خلوا في قلوبكم شوية رحمة

أنا: إمشي يابني.. الله يسهلك

الشحات العصري: ربنا على المفتري

نظرت إليه وقد عقدت الدهشة لساني ورحت أتذكر بل وأتحسر على شحاتنا المقيم الذي كان بمنتهي الأدب لا يطلب إلا من صاحب الأمر ولم أكن أتواني في أي مرة أراه فيها أن أساعده ولو بالنذر القليل، ولكن نظرة السعادة التي كانت ترتسم على وجهه وهو يدعو لي بالبركة كانت توقد داخلي بركان من السعادة لايضاهيها إحساس إلا وأنا أعاود الكرة مرة أخرى لأعطيه مما أعطاني الله لأسد حاجته بالمال وأسد حاجتي في العطاء.

تري أين تكمن المشكله؟

لإننا قد تشبعنا بفكرة أن ما نحصل عليه ليس هو ما نستحقه وأن الآخرين بالتبعية يحصلون على أكثر مما يستحقون، بدليل السيارة التي يركبونها والبدلة التي يلبسونها فقد تولدت لدينا الرغبة في زيادة حصيلتنا من المال بالسؤال المباشر تارة وبالتحايل على القوانين تارة وبالبيع الجبري تارة أخرى.

أنظروا حولكم لتروا الأولاد الذين يبيعون ليمون ومناديل ورق وحزم النعناع في التقاطعات وهم يصرون عليكم لتشتروا منهم ويتفنون في إيجاد الوسيلة تلو الوسيلة لإجبارك على أن تشتري منهم سواء بالتذلل أو الاستعطاف أو قطع الطريق وفي الجهة المقابلة نجد منادي السيارات الذي أحتل جزء من الشارع ليفرض عليك إتاوة انتظار وقد حدد لها تعريفة ثابته ندفعها جميعا صاغرين وبدون نقاش حتى نستطيع الحفاظ على

السيارة من بطش هذا الجبار إن نحن أغضبناه ولم ندفع له الإتاوة. والعجب العجاب تراه عندما تدخل إلى المطار أو البنك أو أي جهة حكومية لتجد في انتظارك فرد أمن مبتسما وهو يرحب بك وكأن بينكم معرفة قديمة قوية ليقول لك حمد الله على السلامة يابيه ويده ممدوده لك وكأنه يسلم عليك وطبعا السلام الأيام دي مختلف تماما عن سلام زمان..

أنا لن أتحدث عن الموظف الذي يستغل منصبه للحصول على إكرامية تتناسب مع حجم العمل الذي سيقوم به نظير إنهاء خدماته التي هي طبيعة عمله وسبب وجوده في هذا المكان.. ولكنني أتحدث عن الآخرين الذين لم يتوفر لهم سطوة المنصب فقرروا هم بأنفسهم أن يوجدوا المكان والحدث وأن يتفننوا في إستحداث الوسائل التي تمكنهم من الحصول على مايصدقون أنه حقهم في العيش في ظل وجود شخص مثلي يركب سيارة ويرتدي بذلة بل ويمسك في يديه أيضا بشنطة كمبيوتر محمول. إنهم هؤلاء الأشخاص الذين قرروا فرض أنفسهم ومطالبهم علينا عن طريق ثقافة الذراع فأعطوا لأنفسهم الحق في أن يستحلونا ونحن نجلس في الجهة المقابلة مُستحَلين مستضعفين نلتمس لهم الأعذار ونحن نمصمص شفايفنا ونقول.. لاحول ولاقوة إلا بالله

عندما قررت انجلترا إعمار أستراليا التي احتلتها لم تقم بإرسال مهندسيها ومعماريها وقواتها ونبلائها فقط، بل أرسلت أيضا مطاريدها ومسجونيها ومن هم بدون عمل ويعيشون عالة على المجتمع لكي يصبح لهم مكان يعيشون فيه ويعمرونه ويقيمون فيه مجتمعهم بل ويتملكونه والذي قامت فيه الحكومة بوضع القوانين والنظم التي تحكم هذا المجتمع الجديد وفي خلال قرنين من الزمان أصبح هذا المجتمع هو أستراليا التي يهاجر إليها شبابنا الآن.

لماذا لا نقوم بجمع هذه الجماعة من إخواننا الذين لم يسعفهم تعليمهم ولا ثقافتهم ولا إمكانياتهم لكي يجدوا مكانا فعالا في مجتمعنا ونرسل بهم إلى صحارينا –وهي كثيرة–

ويتبنى المجتمع المدني مسئولية إعداد وتأهيل المكان بينما تتبني الحكومة مسئولية إدارته التشغيلية والمالية ليزرعوا ويصنعوا ويعيشوا حياة كريمة حيث يكسبون رزقهم بذراعهم بدلا من أن يستخدموا هذا الذراع في ترويعنا وفرض مطالبهم علينا.

لماذا نستسلم لهم ولمطالبهم ولأساليبهم التي هي يقينا غير شرعية ولانسألهم أن يستسلموا لمطالبنا الشرعية بأن يكونوا أناسا فعالين في خدمة هذا المجتمع.

إن كانوا لا يملكون القدرة على تحقيق مطالبهم؛ فإنني أعتقد أننا نملك العقل الذي يمكننا من مساعدتهم على توفير حياة كريمة لهم وعمل شريف يقتاتون منه بل وأرض يعمرونها ويتملكونها في الآخر.

أنت المساعد.. يارب.

ياربي.. أنت أعلم.

إشارة مرور

إتحرك يابنى أدم، إنت مش شايف إنك معطل الطريق ؟
ولو ما إتحركتش هتعمل إيه إن شاء الله ؟

إشارة مرور

أحمر.. قف،

أصفر.. استعد،

أخضر.. سر..

كلنا تربينا على مباديء المرور وإشارات المرور والتي لم تكن قاصرة فقط على السيارات في الشوارع، ولكنها كانت نظام حياة وأساسيات نتداولها فيما بيننا كأسلوب تعامل حضاري ينظم العلاقات بيننا وبين الآخرين سواء في المترل أو العمل أو حتى في النوادي والسينمات والمقاهي.

قد يجد البعض ما أقوله مستغربا لأننا لم نعتد على وجود إشارات مرورية في مكاتبنا أو منازلنا بحيث إذا أراد أحدنا الذهاب إلى الحمام فعليه الانتظار حتى تصبح الإشارة خضراء لكي يستطيع الدخول..

وبطبيعة الحال، فإن هذا ليس بمقصدي ولكنني أتحدث هنا عن وجود هذه الإشارات الضوئية داخلنا تلقي بظلالها على تعاملاتنا مع بعضنا البعض، بل تضع حدودا وخطوط فاصلة في احترامنا لذاتنا وللأخرين من حولنا وتزرع داخلنا قيما سامية من وجوب احترام القانون ولوائحه التنفيذية والعاملين عليه حتى إذا ما تعارضت هذه القوانين أو اللوائح التنظيمية مع متطلباتنا ومواعيدنا وإلتزاماتنا الشخصية.

عندما كنا نجلس في أتوبيس المدرسة ونحن صغار، كنا نستمتع بالنظر من خلال نافذة الأتوبيس على السيارات التي تقف بجانبنا في إشارة المرور ونحن نقوم بإرسال سلامات للناس من حولنا وضحكة صافية بريئة تعبر عن كل مشاعر المودة والآمان وبحيث كانت إشارة المرور هي محطة تتلاقي فيها العيون لترسل فيما بينها إشارات التحية والمودة.

وكنا عندما نصل إلى المدرسة ويقف الأتوبيس على ناصية الشارع ليتزلنا، كنا نقف في صف منتظم مع المشرفة على الرصيف في انتظار العبور إلى الناحية الآخرى من الطريق، ووقتها كان يطل علينا عمو (طلبة) الإشارجي –الصول طلبة عسكري المرور– ويأتينا مبتسما وهو يقول: "امسكوا في إيد بعض ياولاد".

نحن: حاضر ياعمو طلبة

عمو طلبة الإشارجي: ماحدش يعدي إلا لما أقولكم

نحن: حاضر ياعمو

عمو طلبة الإشارجي: استنوا لما الإشارة تبقي خضرا وامشوا ورايا

نحن: حاضر

عمو طلبة الإشارجي: ياللا ياولاد.. مع السلامة

كنا أطفالا صغارا تملؤنا البراءة ونحن نتلقي تعليمات المرور من هذا الرجل الجميل.. عمو (طلبة) الإشارجي ببذلته المنمقة والتي كنت أشعر معها أنه في وجاهة لواء بهذا العصر. كان عمو (طلبة) دائما مبتسما وهو يرسل لنا بتعليماته الحازمة وكنا لا نشعر أبدا بأي ضيق ونحن نلتزم بتعليماته، بل كنا نشعر بالأمان لأن هناك شخصا مسئولا يقف في عز الشمس ليؤدي واجبه بحزم ورِقَّة في نفس الوقت وبجدية لا تخلو من ابتسامة تبعث فينا الطمأنينة.

كانت إشارة المرور بالنسبة لنا هي نقطة تأمين نقف عندها لتشعرنا أن هناك من يهتم لنا ولسلامتنا وأن هناك دورا لرجل البوليس في إشاعة جو الأمان في هذه البلد الأمنة بحكم ألهي، ولهذا كنا نصدق فعلا أن الشرطة كانت في خدمة الشعب، ولما لا ونحن نري رجال البوليس في حلتهم الزاهية يقفون لينظموا تحركاتنا وليتأكدوا أن كل منا يأخذ حقه حتى ولو كان حقه هو أن يعبر الطريق في الوقت المحدد والذي تشير له إشارة المرور ودون أن يجور أحد على حق الأخر.

ولكن مع تغير كل شيء في مصرنا، تغيرت أيضا قوانين المرور وقامت وزارة الداخلية بتطبيق الثقافة الجديدة التي أنتشرت كالسرطان في دماء هذا الوطن (ثقافة الذراع) وقامت باستبدال تقاطعات المرور التي كانت تتزين بإشارات مرور، تذكرنا دائما أن لكل منا وقت محدد يستطيع فيه المرور وعمل مايريده وأن هناك أوقات أخرى علينا فيها الانتظار حتى يفرغ الآخرين من أخذ حقهم والمرور إلى مبتغاهم.. لم تكن إشارة المرور مجرد مصابيح كهربائية تضئ بألوان مختلفة، ولكنها كانت أسلوب حياة ينظم العلاقة بين الأفراد ويفرض سطوته على ثقافة الشعب ليعلمنا جميعا أن انتظار الدور في الترقي هو أمر حتمي وأنه لا يصح أبدا في ظل هذه الثقافة استعمال الذراع لأخذ حق لا نستحقه حتى ولو كنّا في أشد الاحتياج لهذا الحق.

في ظل تطبيق إشارات المرور، لا يجرؤ أحد على المرور والإشارة حمراء وكلنا يلمس هذه الحقيقة عندما يسافر إلى الخارج ويرى الالتزام بإشارة المرور الحمراء حتى ولو كانت التقاطعات الآخرى خالية من السيارات، ولكن لأن النظام مُطبّق؛ يقف الناس في انتظار دورهم بغض النظر عن الفرصة المتاحة والتي لايصح أبدا أن نأخذها بالذراع بل ننتظر وننتظر حتى تصبح الإشارة خضراء، ووقتها فقط نستطيع أن نتحرك لأخذ فرصتنا وكما لم نضايق أحدا وهو يأخذ فرصته؛ فإن النظام يضمن لنا أن أحدا لن يضايقنا ونحن نأخذ فرصتنا.

لكم أحنُّ لإشارة مرور تستطيع أن توقف هذه الثقافة الغريبة التي استشرت فينا وأصبحت واقعا أليما نعيش به ونتعايش معه بل ونبرره فيما بيننا في محاولة يائسة منا لإقناع أنفسنا أنه إن لم نكن نحن جزءا من هذا النظام؛ فإننا سنكتوي بنيران هذا النظام، وهنا تكمن سخرية القدر لإننا ونحن جزء من هذه الثقافة نكتوي بنيرانها كشعب يفقد هويته وعندما نحاول أن نقف أمامها نكتوي بنيرانها كأفراد خارجة عن النظام ولا تستحق إلا أن تُستحَل.

كنت أقف بأحد التقاطعات الشهيرة بقاهرة المعز –وسبحان المعز المذل– والتي نزعت منها إشارة المرور وتم تحويل المرور بها إلى الدوران الذي يجبرنا على السير لمسافة حوالي النصف كيلومتر ثم العودة مرة أخرى للخلف وهو نظام يتم إتباعه في كل الدول المتقدمة وكلنا رأينا هذه الدورانات عند سفرنا ولكننا أبدا لم نري هذا الزحام الجنوني الذي يتولد عند كل دوران إلا في مصرنا الحبيبة بحيث أصبح هذا الدوران مشكلة بذاتها وبدلا من أن يحل مشكلة التقاطع الذي كان يعمل سابقا بإشارة مرور أصبح ويالللعجب لايعمل في ظل هذا الاختراع العبقري.

أقف في الطريق منتظرا للفرصة التي ستسنح لي لكي أتجه لليمين ومن حولي السيارات تطلق صافرتها بشكل جنوني لأن الطريق في إتجاهنا لايسير وكأنه قد تم إغلاقه لفترة من الزمن. وكان أكثر مايصيبنا بالجنون أن الطريق أمامنا يسير ببطء.. نعم ولكنه يسير ولاأحد يعبأ لطابورنا الذي يقف في مكانه وقد شُلت أوصاله.

وعندما حاول أحد الأشخاص أمامي التقدم بسيارته ليسير في طريقه ويتجه إلى اليمين أوقفته إحدي السيارات في الطريق السائر بأن أغلقت عليه الطريق وبدأ صاحب السيارة السائرة في إلقاء المواعظ:

الشخص السائر: ماتخللي بالك يافندي

صاحب السيارة الواقفة: طب إتفضل ياللّا

الشخص السائر: ولو ماتفضلتش.. إيه حاتخبطني

صاحب السيارة الواقفة: ياعم لا أخبطك ولاتخبطني.. إتحرك

الشخص السائر: ياسلام .. هوه إيه بالدراع

صاحب السيارة الواقفة: إنت حتدينا درس في الأخلاق.. إتحرك بأقولك

الشخص السائر: ولو ماتحركتش.. حتعمل إيه إن شاء الله

صاحب السيارة الواقفة: لأ.. ده أنت قليل الأدب بقي

الشخص السائر: قليل الأدب يابن ال.. تيييت

وتحولت إشارة المرور بقدرة قادر إلى حلبة صراع بين فريقين أحدهما مؤيد لصاحب السيارة الواقفة الذي ضاق ذرعا بوقوفه لمدة خمس دقائق في انتظار أن يسمح له عابري الطريق الآخرين للإنحراف يمينا والأخريؤيد صاحب السيارة السائرة الذي يحاول الآخر الاعتداء على حقه بأن تجرأ وحاول المرور أمامه وبين الفريقين جلست في سيارتي وأنا أتذكر عمو طلبه الإشارجي.

تري أين تكمن المشكلة؟

لإن الدولة قد تخلت عن دورها في فرض النظام وقامت طواعية بالتنازل عن سلطاتها التنفيذية والرقابية في الشارع للشعب بحيث يقوم أفراد الشعب بتنظيم علاقاتهم كل حسب أولوياته وقوة ذراعه، فقد تولد داخل كل واحد منا الشعور بأنه يمتلك هذا الحق طالما هو فرد من هذا الشعب وله الحق مثل الآخرين في أن يعبر ولو فوق رقاب الآخرين.

لقد فُرض علينا الأمر بثقافة الذراع والعجب العجاب أنه بدلا من أن نعترض على هذا النظام الذي يثبت فشله يوما بعد يوم، قمنا بالاستسلام له بل وتطبيقه فيما بيننا وكأننا على أتم القناعة أن هذا النظام هو فقط الذي يصلح لنا.

لقد اُستُحْلِلنا عندما فرض علينا الأمر الواقع وقبلناه ولم نبد أي إعتراض وأصبحنا للأسف نقبع الآن في جهة المستحِلين لأنفسنا ونحن نطبق ما يجب أن نرفضه ونبرر ذلك لأنفسنا بأنه طالما لانستطيع تغيير ماتم فرضه علينا، فلنقبله ونطبقه لأن هذا هو القانون السائد وإلا أصبحنا واقفين في جهة الْمستحَلين حرام.. حرام.

تُري هل سيأتي اليوم الذي سنرى فيه عمو (طلبة) الإشارجي مرة أخرى أم أننا سنظل قابعين في أماكننا في انتظار أن يفسح لنا أحدٌ الطريق لنصل فقط..

إلى نقطة الدوران للخلف.

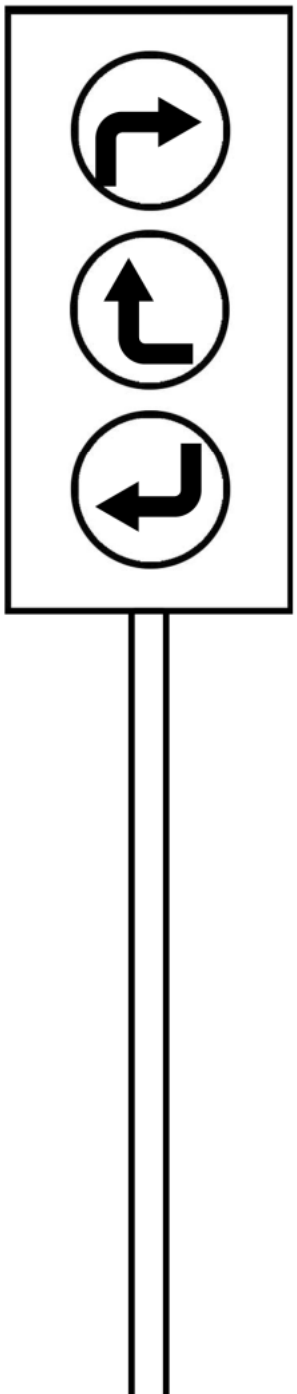

اكسبر طابور

أنا أسف ! بس حتى لو كان درجة أولى لازم يقف فى الطابور
أنا عارفة شغلى كويس يا أستاذ !

اكسر طابور

من منا لم يدخل طابورا في حياته؟..

سؤال هام جدا أساله لكل أصحابي وزملائي وأجزم أن الإجابة واحدة.. لا أحد، فكلنا مررنا بتجربة الطابور حيث تتلاقى رغبات واحتياجات العديد من الناس في نفس الوقت الذي يتجمعون فيه لقضاء هذه الاحتياجات وعندها يكون هناك احتمال من ثلاثة لا رابع لهم:

الاحتمال الأول: أن يتجمع الناس في لا نظام وبشكل عشوائي بحيث يتمكن الأقوي –والأقوي فقط– من الوصول إلى نقطة البيع والحصول على مبتغاه، أي أن يقبل الجميع أن يطبقوا مبدأ البقاء للأقوى وعلي الضعيف الانتظار

الاحتمال الثاني: أن يصطف الناس في طابور منتظم كل حسب وقت وصوله في انتظار أن يأخذ حاجته حسب مكانه في الطابور، وبغض النظر عن قوته أو ضعفه، أي أن يقبل الجميع أن يحترم كل منهم الآخر لشخصه وليس لذراعه

الاحتمال الثالث: أن نقف في طابور بحكم النظام الذي يفرضه المكان ونجد شخصا ما يأتي من خارج الطابور إما لقوته أو لواسطته أو لنقديته، ويأخذ مايريده عيانا جهارا ونقف جميعا ونحن نمصمص شِفاهنا أو نبرطم ببعض كلمات الامتعاض التي تعبر عن رفضنا وتثبت في نفس الوقت استسلامنا.

استحضرتني الآن لقطة لممثل أسمر جميل لم أره إلا في فيلم واحد مع الفنان القدير عادل إمام –فيلم الإرهاب والكباب– وهو يقف كل مره أمام عادل إمام ليخبره كيف

يكون متحضرا ويستشهد على كلامه كل مره بقوله: في أوروبا والدول المتقدمه يفعلون كذا وكذا، حتى بلغت الكوميديا مداها عندما قام عادل إمام بسؤال المحتجزين أمامه عن أقصى مايريدونه من حكومتهم التي ستفعل أي شيء حتى لا يُفجر مجمّع التحرير، ويفكر الجميع.. ويعيدون التفكير ثم يقومون بتحديد مطالبهم في الكباب والكفته!!..

المهم هنا ليس في الكباب الذي هو كل مطالب الشعب من حكومتهم، ولكن فجأة يطل علينا هذا الأسمر الظريف ليعلمنا كيف يمكن أن نكون متحضرين حتى ونحن نطلب الكباب والكفته من الحكومة ليقول لنا:

في أوروبا والدول المتقدمة يأكلون مع الكباب طحينه..

لا أعلم بالتحديد ما هي العلاقة بين ما ذكرته للتو وبين احتمالات الطوابير التي كنت أتكلم عنها منذ قليل، وإن كنت على يقين أنه في أوروبا والدول المتقدمة يصطف الناس في طابور منتظم كل حسب وقت وصوله، أي أن الاحتمال الثاني هناك هو القاعدة التي يحترمها الجميع حتى وإن تجاوزها البعض ليلجأوا إلى الاحتمال الثالث، إلا أن هذا يعتبر الاستثناء الذي يثبت القاعدة ولا يلغيها أبدا.

في أوروبا والدول المتقدمة يصدق الناس في ثقافة الطابور وأن لكل منا دوره الذي سيأخذه نظير اجتهاده في أن يصل في الوقت المناسب، وأن الوقوف في الطابور هو ضريبة ندفعها مقابل احتياجاتنا لإننا جميعا سواسية إذا ما احتكمنا إلى رغباتنا ومتطلباتنا لا إلى مكانتنا وإمكانتنا.

في أوروبا والدول المتقدمة يقف الناس في طابور لشراء تذاكر المسرح والأوبرا، وأمام ماكينات الكاشير في السوبر ماركت، كما يقفون طابورا في محطة المترو والأتوبيس.. ولأن هذه الثقافة هي الأساس في تعامل الناس مع بعضهم هناك، وجدناهم يبتكرون وسائل تسلية لقضاء الوقت في الطابور، فنجد الكثير منهم وفي يده كتاب أو جريدة يقرأها وهو يقف في الطابور في انتظار انقضاء دوره أو يسلي وقته بلعبة الجيم بوي.

وبمجرد التفكير البسيط في هذا الأمر نجد أن الناس في أوروبا والدول المتقدمة

يذهبون لشراء احتياجاتهم وهم يعلمون تماما أنه سيكون هناك طابور في انتظارهم، ولهذا نجد في يد كل منهم أو في سيارته الكتاب الذي سيقرأه في الطابور، إنها القاعدة التي قبلها الناس هناك.. أن يحترموا الآخرين حتى ينالوا حقهم من الاحترام.

ولكن ماذا يحدث عندنا؟..

أنا لن أتحدث عن طابور العيش أو طابور أنبوبة الغاز أو طابور سداد فواتير التليفون؛ لأن لكل منها قصة إنسانية ستجعل لكل طابور منهم ألف محامي يستطيع الدفاع عن الناس البسيطة المطحونة التي تتدافع للحصول على لقمة العيش، وأن مطالبتهم بالوقوف في طابور هو تحد واضح وصريح لأدميتهم التي أغتالتها صعوبة الحصول على لقمة العيش، ونظرا لأنني من المعارضين لهذا الدفاع لإنني على أتم القناعة أن الطابور هو أسلوب حياة وثقافة، إن انتهجناها؛ فإنها ستولد لدينا ثقافة لا تقل أهمية عنها.. ألا وهي ثقافة القناعة والقبول، وهو مانحتاج لفصل كامل للكتابة عنها، لذا فإنني لن أتكلم عن هذه الطوابير التي يغلفها الفقر والحاجة.. ولكنني أتكلم عن هؤلاء الذين يجدون ما يكفي معيشتهم بل ويفيض ليقوموا بالسفر خارج مصر إما للعمل أو للسياحة أو الزيارة أو أياكان الغرض.. أنهم يعيشون ويكسبون ما يكفيهم ويزيد عن حاجاتهم للحصول على كمالياتهم، ولكنهم مازالوا يرفضون الوقوف في طابور حتى لا تُجرح وجاهتهم الاجتماعية.

في طريقي للسفر إلى المملكة العربية السعودية لأباشر عملي كاستشاري إدارة مشروعات، وصلت إلى مطار القاهرة قبل ميعاد الطائرة بحوالي ساعتين –حسب النظام المعمول به– وعند بوابة الدخول حيث جهاز الكشف على الشنط، كان هناك طابور أمام البوابة وقد اصطف المسافرين في هذا الطابور من مصريين وسعوديين وأجانب من رجال ونساء بكل الأعمار، للوصول إلى نقطة التفتيش.. الكل يقف في نظام وسكون في انتظار أن يتحرك الطابور للعبور من البوابة مع بعض الهمهمة الدائرة في المكان تشكو بطء الحركة وإمكانية التأخر على الطائرة، إلا أن المسافرين قد قاموا بتهدئة أنفسهم حيث أنها فقط عشر دقائق ونصل جميعنا إن شاء الله.

وفجأة تفجرت ثقافة الذراع لتطيح بالطابور أرضا وتمزمه بلمس الأكتاف.

فجأة وجدنا شخصا متذرعا بثقافته معتمدا على قوة لسانه وعلي قناعته أنه هو فقط على حق، يأتي أمامنا جميعا وهو يمسك بعربة الحقائب يدفعها ليمر من خلال الطابور وهو يقول:

بعد إذنك يا أستاذ

رجلك من فضلك..

حاسب لو سمحت..

حتي حط به المطاف أمامي متخطيا أكثر من عشرة أشخاص يقفون خلفي وعلي وجهه إبتسامه بلهاء صور له عقله أنه بهذه الإبتسامة يستطيع أن يجور على حق كل هؤلاء.

أنا: على فين يا أستاذ.. فيه طابور

الشخص: خليك في حالك يابيه.. أنا حاقف وراك

أنا: الناس دي كلها واقفه في الطابور

الشخص: يابيه بقولك أنا حأقف وراك

أنا: أنا مابقولكش تقف فين.. أنا بأقولك تقف في الطابور

الشخص: بقولك أيه.. موش أنا اللي مسافر. الست دي اللي مسافره ولوحدها

أنا: ماهي كل الستات دي مسافره برضه

الشخص: ياعم خلاص.. أنا واقف وراك أهوه

نظرت للناس من خلفي لعلي أجد مناصرا لي في قضيتي بالرغم من أنني لست متضررا لأن الشخص قرر أن يتفاداني ويقف ورائي، ولكن العجيب أن الناس من خلفي وقفوا وهم ينتظرون نهاية هذا الحوار وكأنني وسيلة تسلية تساعدهم على لحظات

الانتظار حتى ينقضي هذا الفيلم الذي اعتاده الكثير منا. لهذا قررت أن أخذ موقفا من هذا المتذرع وأن أحل الموضوع بنفسي وبدون انتظار مساعدة من أحد.

وقفت في مكاني وهذا الشخص يقف خلفي وشاورت لزميل الطابور خلفي ليتقدم هو ويعبر البوابة، وبمنتهي الهدوء تقدم زميل الطابور وعبّرَ البوابة وأنا أقف محتجزا الشخص خلفي ثم أشرت للذي يليه فالذي يليه وهكذا حتى مر سبعة أشخاص من أمامي في منتهي الهدوء، وأنا ألمح في أعينهم نظرات الشكر ممزوجة بمسحة حزن على ماوصلنا إليه.

الغريب جدا في هذه القصة أن الشخص وقف خلفي و في عينيه نظرات التشفي لأنه استطاع أن يجبرني على أن أتخلي عن دوري في الطابور للأخرين في محاولتي لمنعه من تطبيق ثقافة الذراع وإجبارنا جميعا على قبولها.. كانت نظراته لي لا تنم عن استيائه من الوقوف في الطابور، بقدر ماكانت تنم عن سعادته لأنه استطاع أن يرغمني أن أتخلى عن دوري للأخرين، حتى ولو لم يستفيد هو من تنازلي هذا.. تخيلوا أنه إنسان عادي مثلنا يستطيع الوقوف في طابور.. ولكنه فقط لايريد.

عبرتُ البوابة ودخلت إلى مكتب تسجيل السفر ولأنني كنت مسافرا على الدرجة الأولي؛ فقد ذهبت بدوري نحو المكتب المخصص لركاب الدرجة الأولى والذي يقف عليه مسافران أثنين فقط وكنت أنا الثالث، وهذه الميزة توفرها شركات الطيران لركاب الدرجات المتقدمة مقابل زيادة أجرة السفر. أي أنها ميزة مدفوعة الأجر لمن يرغب ولكنها لا تعطي خصوصية لراكب عن أخر لعلاقته بمراقب المحطة أو بقائد الطيارة مثلا.

المهم أنني وأنا أقف في طابوري الجديد وجدت الشخص يأتي متقدما علينا وبيده جواز السفر ليعطيه إلى أحد العاملين بشركة الطيران والذي تلقفه وذهب به إلى الموظفة طالبا منها إنهاء الإجراءات.

نظرت إلى الشخص لأجد نظرات الانتصار في عينيه وأنَّ ما لم أُمَكِّنْهُ منه بالخارج في أن يكسر الطابور ويجور على حقوقنا جميعا بذراعه، استطاع هو بكل بساطة تجاوزه الآن لأن لديه واسطة حيث أنه على مايبدو شخص متعدد الأذرع.

تركت مكاني وذهبت إلى الموظفة وقلت لها بكل هدوء:

أنا: هل هذا المكان مخصص لركاب الدرجة الأولي

الموظفة: أيوة يافندم

أنا: وهل هذا الأستاذ من ركاب الدرجة الأولي

الموظفة: أنا عارفة شغلي كويس يا أستاذ

أنا: أسف، بس حتى ولو كان درجة أولى لازم يقف في الطابور

الموظفة: اتفضل في الطابور وما تقلقش

أنا: أنا موش قلقان خالص، أنا بس بأقولك إنه دوره بعدي

الموظفة: أنا عارفه شغلي يا أستاذ من فضلك

وقفت والذهول يملؤني من ردها الحاسم والذي يؤكد أنها ستقوم بعملها على أكمل وجهه وأنها ستعطي كل منا حقه ولكن يبدو أن الحدّاية لا يمكن بحال من الأحوال أن تحدف علينا الكتاكيت.

العامل يذهب ويأخذ شنطة الشخص ويضعها على الميزان متخطيا الأثنان اللذان يقفان أمامي وأنا معهم والشخص يقف مزهوا بانتصاره علينا وفرض ثقافته على كل الحضور.. لم أستطع تمالك نفسي وذهبت إلى الموظفة وبمنتهى الجدية طلبت منها أن توقف هذه المهزلة، ولكنها نظرت إليَّ وكأنها تنظر إلى كائن فضائي غريب تجرأ واعترض على شيء يحدث عشرات المرات على كل رحلة مقلعة من مطار القاهرة الدولي.

طلبت مقابلة مشرف الوردية وقلت لها أنها لن تكمل إجراءات سفر هذا الشخص قبل إنهاء إجراءات سفرنا نحن أولا.. وبدأ الصوت في الارتفاع التدريجي، الأمر الذي سَرَّع من وصول مشرف الوردية والذي بدأ في احتواء الموقف، وأخذ تذكرة سفر الشخص وجواز سفره لينظر فيهم ويراجعهم ثم ينظر إلى الشخص ويسأله:

المشرف: فين المدام

الشخص: قاعدة هناك أهيه

المشرف: طب خليها تيجي وتقف في طابور الدرجة السياحية اللي جنبنا ده

الشخص: مالمادمازيل خلصت خلاص

المشرف: حضرتك تذكرتك درجة سياحية وهنا طابور الدرجة الأولي

الشخص: يعني هما على راسهم ريشة

المشرف: إتكلم بأدب لو سمحت، ده النظام

الشخص: ولما الطيارة تفوتنا يعني حتتبسط

المشرف: لأ ماتخافش، الطيارة موش حتطير إلا لما كل الركاب يركبوا

الشخص: (وهو ينظر إليَّ) هوه إنتوا أيه..أشترتونا، ده أنت موش حاتورد على جنة..

نظرت ولم أبتسم ولكنني كنت مثقلا بالتفكير، هل يمكن حقا أن نتغير؟

هل يمكننا فعلا مقاومة هذه الثقافة الملعونة؟

هل سنستطيع يوما أن نجد الشعب المصري يقف في الطابور وهو لا يشعر بالخزي لأنه لايجد واسطة يستطيع بها أن يمر من الطابور وأن يأخذ ما يريد بدون انتظار لأحد؟

هل نستطيع أن نحافظ على حقي وحقك وحق أولادنا في المستقبل؟

تري أين تكمن المشكلة؟

إنني متأكد من أن معظمنا يستطيع الانتظار.. ولما لا وقد تعودنا انتظار فرصة العمل وانتظار لقمة العيش، بل أن الكثير من مشجعي فريق الزمالك مثلا ينتظرون أن يفوز

فريقهم ببطولة منذ ست سنوات؛ ولم يجعلهم هذا يتوقفوا عن تشجيعه والذهاب إلى الإستاد لمساندة فريقهم، حتى وهم يعلمون أنه لا أمل له في المنافسه على البطولة.

إننا نستطيع الانتظار.. نعم نستطيع

ولكننا لا نريد عندما تسنح لنا الفرصة – وعادة ما نقنع أنفسنا أن الفرصة سانحة لإننا نريد ذلك.

فإن كانت هذه الثقافة قد تمكنت منا بحيث أصبح التغيير من الصعوبة بالشكل الذي يمنعنا من التطبيق؛ فأعتقد أن الحل هو في فرض النظام لا في وضعه.

إذا كنا لا نستطيع منع أنفسنا من تجاوز حقوق الآخرين حتى في ظل وجود القوانين التي تمنع أو تجرم هذا التجاوز، فلنعمل على تطبيق هذه القوانين وفرضها علينا.

لماذا لايتم تحديد مسارات الطوابير بوضع سلاسل معدنية تحدد المسار بالعرض الذي يكفي لفرد واحد حتى لايستطيع أحد المرور إلا إذا وقف في الطابور؟

عند ذهابك إلى مطار (دبي) ستجد بوابة الدخول وقد تم تحديد المسار فيها بهذه السلاسل المعدنية والتي يقف فيها الجميع في انتظار دورهم ولايستطيع أحد المرور منها إلا إذا مر فوق رقاب العباد.

حتي في (دبي) حيث الثقافة والرقي في التعامل تم فرض القانون، حتى إذا أتى أحد من خارج إطار هذه الثقافة فإنه لن يجد مفر من اتباعها مضطرا، حتى ولو استطاع أن يجد له واسطة تمكنه من كسر القاعدة.

إنني أؤكد لكم أن المصريين عندما يسافرون إلى خارج مصر، فإنهم يتبعون القوانين وأصول التعامل لأقصي مدي وكأنهم يعيشون ويتنفسون هذه الأصول في بلادهم. إنه الانفصام الذي نعيشه بمجرد أن نتحرك إلى خارج البلاد.

أرجوكم.. أجبرونا على تطبيق القانون إن كنتم حقا تريدون أن تطبقوه.

جيبك بكشيش

جيفيت بكشيش

تشتهر مصر عند دول العالم الغربي والشرقي والعربي بإحدي عجائب الدنيا السبع التي ظلت صامدة أمام كل الأحداث والكوارث الطبيعية التي مرت بالبلاد على مر ألاف السنين ألا وهي الأهرامات.. فعندما يذكر اسم مصر أمام أي شخص أجنبي لابد أن يمر بذهنه مباشرة صورة للأهرامات الثلاثة وحارسهم الأمين أبو الهول في منظر بديع يتمني الوقوف عنده ملايين البشر؛ ليسترجعوا مشاهد من التاريخ ويستحضروا عظمة البناء المصري القديم، الذي استطاع بأبسط الأدوات الإنشائية وبعض الوجبات الغذائية التي تستعمل اليوم كمكونات السلطات العربية والإفرنجية من بصل وكرات وجرجير – حيث لم يكن متوفرا وقتها وجبات الكومبو من ماكدونالدز أو من الخواجة كنتاكي– أن يقوموا ببناء هذه العجيبة التي تعتبر إحدى أسباب فخرنا اليوم كمصريين، وإن كنا لا ننتمي تقنيا أو ثقافيا للبناء المصري القديم بشهادة العمارات الصندوقية التي تم رصها في أحياء القاهرة والبيوت المتهالكة التي يسكنها معظم أبناء هذا الوطن في محافظات الصعيد والدلتا، والتي تم بناءها من الطوب اللبن.. عموما هذا ليس بموضوعنا الآن وسنعود إليه في حينه.

إلا أن السائح الأجنبي سواء كان العربي أو الغربي أو الشرقي عندما تسعده الظروف بزيارة مصر للتمتع بجمال أثارها في الأقصر وأسوان أو في منطقة الأهرامات بالجيزة أو للإستمتاع بطقسها البديع في شرم الشيخ والغردقة فإنه يخرج من مصر بتجربة إنسانية فريدة يوجزها أي أجنبي في جملة واحدة يتذكرها جيدا لكثرة مايراها ويحسها وإن كان

لايسمعها.

جيفيت بكشيش

بمجرد أن يهبط السائح إلى أرض الوطن الغالي وداخل أحدي مطاراتنا الدولية متوجها إلى مكان استلام الحقائب حيث عربات حمل الحقائب متوفرة وبدون مقابل لكل القادمين، إذا بالعربات قد اختفت ولم يبقَ إلا بعض العربات بيد طاقم العمل بالمطار والذين يرتدون كلهم زيا موحدا يعطيهم الشرعية في التعامل مع المسافرين بشكل رسمي.

المهم أنه إذا إحتاج أحد السائحين إلى عربة لحمل حقائبة فإنه لابد أن يتجه إلى هذا الشخص الذي يرتدي الزي الوظيفي طالبا العربة وفي هذه الحالة تتجلي العبقرية المصرية أو مانسميها نحن بالبلدي (الفهلوة المصرية):

الشخص الموظف: ويلكوم (مرحبا)

السائح: سانكس (شكرا)

الشخص الموظف: كار (عربة)

السائح: يس بليز (نعم من فضلك)

الشخص الموظف: يور باجز نمبر بليز (أرقام شنطك من فضلك)

السائح: واط

الشخص الموظف: باجز نمبرز .. تيكيت (أرقام الشنط.. التذكرة)

السائح: زيس (هذه هي)

الشخص الموظف: وان مينيت (دقيقة واحدة)

ويذهب الشخص الموظف ليعبر من فوق سير الشنط إلى فتحة دخول الحقائب حيث يقوم بالبحث عن حقائب السائح حسب الأرقام التي حصل عليها في مهمة اختيارية قررها هو بنفسه وفرضها على صديقنا السائح ليحضر له الحقائب بدون أن ينتظرها على السير؛ وذلك حتى يُشعره بأهميته وأنه إنسان مميز يتم إنزال حقائبه وحده من على السير قبل وضعها مع حقائب الناس العادية التي ستضطر للانتظار في الساحة حتى تصل إليها حقائبها على السير.. ياحرام. وطبعا لكم أن تتصوروا عشرات من الأشخاص الموظفين يقفون في المنطقة الخلفية وهم يبحثون عن بعض الحقائب التي حصلوا على أرقامها من أصحابها بقوة الذراع السلسة المقنعة –وذلك عندما أقنعوهم أن هذا هو النظام– وفي سبيلهم للبحث عن هذه الحقائب يتم تعطيل باقي المسافرين ليقفوا أمام السير الذي لايعمل وهم يتسألون.. ماذا حدث؟

وفجأة يظهر الشخص الموظف وقد حصل على الحقائب وقام بوضعها على العربة ويذهب بها إلى صديقنا السائح وقد عين نفسه دليلا سياحيا له في المطار حيث يسير بالعربة في يده وهو يأمره أن يتبعه إلى دائرة الجمارك وصاحبنا السائح يسير ورائه وهو لاحول ولاقوة له حتى الوصول إلى دائرة الجمارك فيطلب الشخص الموظف من السائح أن يعطيه جواز سفره وهو يقول له: يور باسبور (جواز سفرك). فيقوم السائح بإخراج جواز السفر وإعطائه للشخص الموظف والذي يقوم بدوره بتقديمه لمأمور الجمارك وعلى وجهه ابتسامة راجية مفادها أن هذا السائح تابع له وأنه لابد من تيسير الإجراءات حتى يستطيع الحصول على مقابل معقول لخدماته التي لم ولا يحتاجها أحد من الركاب.

وبنظرة تعاطف من السيد مأمور الجمارك إلى الشخص الموظف ونظرة استقبال إلى السائح وهو يمسك بجواز سفره يقلبه بين يديه، ويبدأ في حمل الحقائب بيده –التي قام الشخص الموظف بإنزالها عن العربة– وهو يتحدث إلى السائح:

مأمور الجمارك: ويلكوم سير (أهلا وسهلا سيدي)

السائح: سانكس (شكرا)

مأمور الجمارك: دو يو هاف إني ثينج ويز يو (هل تحمل أي شيء معك)

السائح: نو، جست سوم كلوز (لا، فقط بعض الملابس)

مأمور الجمارك: ويلكوم إن إيجيبت (أهلا بك في مصر)

السائح: سانكس (شكرا)

ويبدأ الشخص الموظف في حمل الحقائب مرة أخرى ووضعها على العربة والاتجاه نحو بوابة الخروج ليقف عند بوابة المطار وهو يبتسم إلى السائح ابتسامة استعطاف وهو يقول له: إني سيرفيز (أي خدمة).

ويبدأ صديقنا السائح في وضع يده في جيبه وهو يسأل الشخص الموظف عن أتعابه نظير خدماته التي فرضها عليه فرضا، والتي يشعر الآن أنه لم يكن ليحتاج هذه الخدمات خاصة وأن باقي المسافرين الذين قاموا بتحميل أمتعتهم بأنفسهم قد بدأوا في الخروج معه وفي نفس التوقيت وبدون أي مساعدة إجبارية من أي شخص موظف أخر.

السائح: هاو ماتش دو يو وانت (كم تريد)

الشخص الموظف: إني سينج.. تين دولارز (أي شئ.. عشرة دولارات)

السائح: إيزيت ذي تاريف (هل هذه هي التعريفة)

الشخص الموظف: يس سير (نعم ياسيدي)

السائح: يومين تين باوندز (يمكن تقصد عشرة جنيهات)

الشخص الموظف: نو باوندز ياخواجة.. دولارز (لا ليست بالجنيه.. بالدولار)

السائح: أي دونت هاف دولار، أونلي يورو (ليس لدي دولار، فقط يورو)

الشخص الموظف: أوكيه.. تين يورو (إذا فهي عشرة يورو)

السائح: واط (ماذا)

الشخص الموظف: يورو ياخواجة.. يورو. ده باين عليه خواجه من شبرا

السائح: نو ذيس ايز تو ماتش (هذا كثير)

الشخص الموظف: هاف اور ياخواجه كاري هيير أند هيير (نصف ساعة ياخواجه أحمل هنا وهنا)

السائح: ذيس أيز تو ماتش باط.. أوكيه (الأمر لله)

وأنتصر الشخص الموظف على صديقنا السائح حيث استطاع أن يختم على جواز سفره بالختم المصري.. جيفيت بكشيش وأن يختم على هويتنا بفكر الذراع.

تري أين تكمن المشكلة؟

إنني لا أعتقد أن المشكلة فينا بقدر ما هي في قدرتنا على أن نتحدى أنفسنا.. إنني أعتقد أنه في كل دول العالم نجد أن العاملين في المحال العامة يأخذون البقشيش، بل أنني أتذكر يوم كنت في أمريكا وقد تطوعت بدعوة بعض الأصدقاء العرب الأمريكيين، والأمريكين في مطعم لبناني شهير يقدم الكباب والكفتة اللبنانية المتميزة والتي وجدتها فرصة للتقارب مع أصدقائي العرب المتأمركيين كما أنها كانت فرصة لتقديم بعض من ثقافتنا الطعامية لأصدقائنا الأمريكان.

وعندما انتهينا من العشاء وجاء وقت الحساب، فإنني قد وضعت كارد الفيزا الخاص بي في صندوق الحساب حيث أخذته النادلة وقامت بسحب المبلغ المطلوب، وبمنتهي حسن النية ولأنني كنت أعتقد أنهم هناك لا يأخذون أي بقشيش فقد أخذت الكارد وهممت بالمغادرة حيث أوقفتني النادلة وسألتني: هل لم تعجبك خدمتنا في المطعم؟

وعندما أجبتها بأنني أجد خدمتهم متميزة جدا، فقد فاجأتني بالسؤال الأصعب.. ولماذا لم تترك لي بقشيش؟

وشعرت بالإحراج ونظرت إلى أصدقائي الذين تنبهوا للموقف وقام أحدهم بشرح الموقف، حيث أن هذا المطعم لا يضيف رسوم الخدمة المعروفة في باقي المطاعم والتي تكون في حدود 12% ويترك ذلك للزبون الذي إن أعجبته الخدمه فإنه يترك البقشيش الذي يريده وحسب تقديره، وهو مايدفع العاملين بالمطعم إلى تقديم أعلي مستوى خدمة من أجل الحصول على أعلي بقشيش ممكن.

عجبا لهؤلاء الأمريكان.. لقد استطاعوا أن يضعوا النظام الذي يقننون به البقشيش أيضا.

إذا الأمر ممكن لو أردنا..

فقط أن نبحث عن النظام الذي يجعل البقشيش مقننا أو لنجعله رسم خدمة مدفوعة ومعلومة للمصريين وللأجانب حتى لايقوم بعضنا بتشغيل أجهزة الفهلوة لديهم لجني ما لايستحقونه مقابل خدمات لانطلبها.

هل هو كثير أن نحدد خدماتنا التي نقدمها للغير؟

هل هو كثير أن نتأكد من أننا نقدم هذه الخدمات بالفعل؟

هل هو كثير أن نحدد رسوم هذه الخدمات

أم هل هو كثير أن نضع تسعيرة للإنسان المصري تقيه مذلة السؤال؟

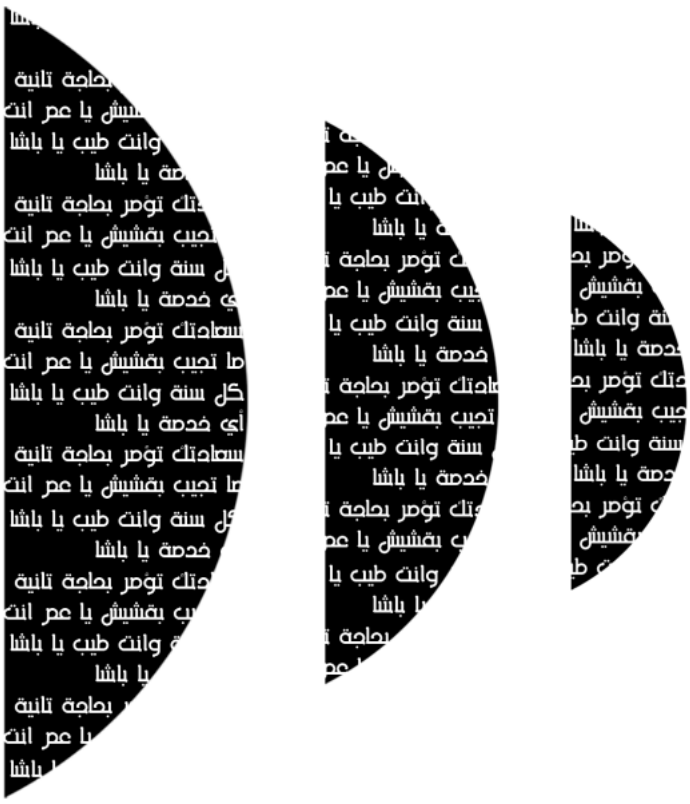

سعادتك تؤمر بحاجة تانية
ما تجيب بقشيش يا عم انت
كل سنة وانت طيب يا باشا
أي خدمة يا باشا

ياعم الحاج الله يهديك عاوز ألحق الميعاد بتاعى
ما انت بتعرف ربنا أهو، أقعد معانا بقى و إكسب ثواب الجماعة.

بلاش نصلي بقي

من أغرب الأشياء التي قد تواجهني في حياتي وأعتقد أنها تواجهه الكثير منا أيضا عندما يتلفظ أحد في وجهي بألفاظ جارحة، وبدلا من أن يعتذر أجده يهاجمني لإنني متعال أو لاأتمتع بحس الدعابه، بل إن الأمر الذي يعد أكثر إيلاما هو عندما أحاول أن أوقف هذا الشخص عند حده؛ فيتجرأ عليِّ ويتهمني أنني طالع فيها وإن ربنا أمرنا بالتواضع.

إن المثل الذي ضربته الآن قد يكون غير واقعي عند الكثير من الناس الذين لم يصادفهم هذا الموقف وإن كانت دلالة المثل نفسه قائمة وأستطيع التأكيد على أن هناك البعض الكثير منا يستطيعون قلب الأمر ليصبح صاحب الحق هو المُلام، بل قد يصل الأمر إلى أن يُتهم صاحب الحق في عقله أو أخلاقه أو دينه، لا لشيء إلا لأنه تجرأ وطلب حقه.

أكاد أسمع أصوات البعض وهم يتهمونني بأنني مزودها حبتين وأن البلد ليست بهذا السواد الذي قد أراه أو أكون قد مررت به من تجارب أو سمعته من أحد، ولكنني لن أجادل في درجة السواد أو الرماديات التي قد يراها كل منا أو التي يريد كل منا أن يراها وسأحتكم لخبرتكم الشخصية فيما سأقصه عليكم الآن وأنا أسأل كل واحد منا سؤال واحد فقط.. كم مره رأيت أو سمعت عن الموقف الذي سأحكيه لكم الآن في خلال العام الماضي فقط؟.

في شهر رمضان المبارك يتزايد عندنا الحس الديني واللهفة إلى لقاء العزيز الجليل كل يوم متطهرين صائمين قائمين قارئين للكتاب العظيم كلٌ حسب مقدرته واستعداده، وكلنا أمل أن يتقبل الله دعائنا وصيامنا وصلاتنا ليمسح بهم ذنوبنا الكثيرة التي أثقلتنا خلال العام المنصرم والتي لن نستطيع أن نتلافها خلال العام المقبل.

لهذا نجد أخلاقيات الناس في الشهر العظيم مغلفة بمسحة من الهدوء في التعامل حيث نبدأ كلامنا عادة عند الخلاف مع أحد بقولنا –اللهم إني صائم– كنوع من التحذير للنفس حتى لا نتجاوز حدود الأدب في ردودنا على الآخرين، فنفقد صيامنا الذي تعبنا فيه، كما تنطوي هذه المقولة الشهيرة –اللهم إني صائم– على تحذير أخر للشخص الذي نتعامل معه حتى يعلم أنني صائم وممتنع عن التدخين، ولم أشرب فنجان القهوة أو كوب الشاي أو النسكافيه، وأنني عصبي ومزاجي ليس على مايرام؛ لهذا خذ حذرك حتى لا تأخذني العزة بالإثم وأفطر عليك.

كل هذا يندرج تحت المقولة الشهيرة للصائمين –اللهم إني صائم– وأكثر من ذلك قد يحدث إذا ماقام أحدنا بإلقاء اللوم على شخص ما لإنه تسبب في تعطيله أو تأخيره عن عمله أو التسبب في إفساد عمل أو مهمة ما، ولا يهم في هذا المقام من منهم عنده الحق ولكن المهم هو أن يتماسك كل طرف ولا يتهور في توجيه الاتهام للطرف الأخر حتى لايصبح هو الباديء وكلنا يعرف أنه على الباديء تدور الدوائر.

أكرمني الله بأن وفّر لي مسجدا تحت العمارة التي أسكن فيها وهي نعمة لا يعلمها إلا الذين تتوفر لهم هذه النعمة حيث نستمع للأذان في وقته ونتمكن من الصلاة في وقتها وفي جماعة أيضا لمن أراد. ولكن النعمة الكبري تكمن في صلاة القيام في شهر رمضان والتي نصليها في جماعة –بحكم العادة والسنة العُمرية– حيث يمكنني أن أجلس مع ضيوفي لأطول وقت ممكن بعد الفطار ثم النزول إلى المسجد للصلاة في وقتها بدون إضافة الوقت اللازم للتحرك بالسيارة للوصول إلى المسجد أو لركن السيارة في الشوارع التي لم تعد قادرة على استيعاب سيارات أصحاب المنازل المقيمين فما بالكم

بالزائرين الذين لايجدون أماكن لركن سياراتهم ويضطرون –غير أسفين– إلى صف سياراتهم صف ثاني حتى يتمكنوا من اللحاق بالصلاة.

وهنا فقط تنقلب النعمة إلى نقمة وينقلب الإنسان المسلم إلي.. غير ذلك.

في يوم من أيام الشهر العظيم فاجأني أحد العملاء بميعاد هام جدا مباشرة بعد صلاة العشاء وذلك نظرا لظروف سفره وقد قام وهو يحدد هذا الميعاد بتقديم الاعتذارات والتأسفات لهذا الميعاد المباغت والذي سيترتب عليه أن نفقد صلاة القيام في جماعة، لكن بالطبع يمكننا أدائها بعد ذلك وربنا غفور رحيم.

المهم أنني قبلت بالميعاد وعرضت عليه أن أوصله للمطار ولكنه أكد لي أن هناك من سيقوم بهذه المهمة.. وعليه فقد رتّبت أموري على أن أصلي العشاء في جماعة بالمسجد ثم أخرج لملاقاة عميلي حسب الميعاد الذي تم الاتفاق عليه وأنا أتصور واهما أن الطرق وقت صلاة العشاء عادة ماتكون غير مزدحمة لانشغال معظم الناس بصلاة القيام وهو ماسيمكنني من اللحاق بميعاد عميلي، ولكن أنت تريد وأنا أريد والله يفعل مايريد.

أنهينا صلاة العشاء وقمت بالخروج على عجالة لأتمكن من أخذ سيارتي واللحاق بميعادي ولكن.. وآه من لكن.

بجوار سيارتي تقف سيارة في صف ثاني وقد قام صاحب السيارة بشد فرامل اليد حتى لاتسير سيارته في غيابه أو كنوع من التأكيد على المكان الذي أخذه بالذراع بدون أي اعتبار لمن يقف في المكان الصحيح ولم يخطيء في حق أحد.. حاولت تحريك السيارة ولكن لافائدة، فقد تم تثبيت السيارة في مكانها بطريقة يعجز معها هرقل عن تحريكها.

حاولت طلب المساعدة من أي أحد لأتمكن من اللحاق بميعادي الهام ولكن الجميع مشغولين بالصلاة، لذا كان على أن أساعد نفسي. فقمت بالدخول مرة أخرى للمسجد –قبل إقامة الصلاة بالطبع– وتوجهت إلى الإمام وطلبت منه أن يطلب في

الميكروفون من صاحب السيارة أن يخرج لتحريك سيارته لأستطيع اللحاق بميعادي. وطبعا لم أسلم من درس في الالتزام بصلاة الجماعة والذي حاولت معه توضيح التزامي –وأنا غير مطالب بذلك لعبد من العباد وإن كنت مطالب به أمام رب العباد– وطلبت من الإمام مساعدتي في مطلبي حتى أستطيع اللحاق بميعادي.. المهم أن الإمام قد قام بالنداء على صاحب السيارة رقم.. ليحرك سيارته لأنه يمنع أحد المصلين من الخروج بسيارته. ولّما لم يتحرك أحد من المصلين فقد أعدت طلبي مشفوعا بماركة ولون السيارة وقام الإمام بتكرار النداء مشفوعا بلهجة ترجي – حتى يتخلص من إلحاحي على ما أعتقد.

وأخيرا قام المارد من مرقده وتحرك ببطء نحو سيارته وأنا ألمح في عينيه نظرات الغضب من هذا الشخص العجيب الذي يصر على إخراجه من المسجد وقت الصلاة ويضطره إلى ارتداء حذاءه ثم خلعه مرة أخرى عند عودته، والتحرك بسيارته والتي تعب جدا في إيجاد مكان لصفها في صف ثاني نظرا للزحام الشديد أمام المسجد وهو ما لا يحدث عادة في أوقات صلاة الفرائض، ولكنه يحدث وبشدة غريبة في صلاة نافلة من النوافل وها هو العجب العجاب.

فاجأني الشخص المصلي بالحديث المقتضب والذي لم أكن مستعدا له نظرا لظروف عملي والميعاد الذي أنا في طريقي للتأخر عليه. وقف الشخص المصلي أمام سيارته وبدأ في التحدث لي بلهجة غضب:

الشخص المصلي: يعني بلاش نصلي

أنا: ياسيدي ربنا يتقبل إن شاء الله

الشخص المصلي: يعني خلاص موش قادر تستني لما الصلاة تخلص

أنا: أسف جدا بس عندي ميعاد مهم

الشخص المصلي: يا أخي ده هما كلهم كام يوم في السنة علشان حتى ربنا يباركلك في مواعيدك المهمة دي

أنا: ياعم أسف بس بقولك عندي ميعاد مهم. اتفضل اتحرك خليني أمشي

الشخص المهم: لا حول ولا قوة إلا بالله، الناس خلاص الدنيا نسيتها دينها

أنا: لا حول ولا قوة إلا بالله.. اتحرك من فضلك

الشخص المصلي: خلاص ياعم.. أصل المواعيد حاتقطع بعضها

أنا: حسبي الله ونعم الوكيل

الشخص المصلي: ما أنت بتعرف ربنا أهوه.. أقعد معانا يا أخي واكسب ثواب الجماعة

أنا (وقد تخليت عن ميعادي): انت عارف إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي

الشخص المصلي: ليه هوه انت شايفني قاعد في حمارة

أنا: لأ يامولانا.. بس صلاتك تنهاك إنك تعمل فحشاء أو منكر بس كمان تنهاك إنك تبغي على حقوق الناس حواليك

الشخص المصلي: نعم!!..

أنا: يعني علشان صلاتك تتقبل لازم تتأكد إنك موش بتاخد حق موش حقك أو بتبغي على حقي في أضعف الإيمان

الشخص المصلي: ياسلام، ده إنت طلعت شيخ كمان

أنا: ياعم لا شيخ ولا حاجة، بس لما تكون راكن عربيتك صف تاني وفي الممنوع وحاجز عربيتي وراك، هوه ده البغي بعينه

الشخص المصلي: يعني عايزني أقعد أدور على ركنه وماصليش والا أيه؟

أنا: يا عم صلي وربنا حيتقبل منك أكتر لو ماظلمتش حد.. وأبوس أيدك اتحرك بقي

الشخص المصلي: لا حول ولا قوة إلا بالله.. اتفضل خلينا نلحق الصلاة

هل فعلا أذنبت لأنني تجرأت على المطالبة بحقي؟

هل فعلا أذنبت لإنني جعلت علاقتي بربي علاقة شخصية لا تعني أحد سواي؟

هل فعلا أذنبت لأنني طمعت في رحمة ربي إذا لم أستطع صلاة القيام في جماعة حتى إن أقمتُ صلاة الفرض في جماعة؟

هل فعلا أذنبت لأنني لم أقبل أن أُستَحل حتى ولو بأسم الدين؟

تري أين تكمن المشكلة؟

إن مبدأ الاستحلال الذي يتبعه الكثير منا ويعملون جاهدين على إيجاد مبررات واهية له من الدين تارة ومن الضروريات التي تبيح المحظورات تارة بل ومن المبدأ الميكافيللي السياسي الشهير بأن الغاية تبرر الوسيلة هو مكمن الخطورة.. بل أستطيع أن أجزم بأنه هو الذي أخذنا ليهوي بنا جميعا في هوة سحيقة لا نقبلها ولكننا نبذل أقصي مافي وسعنا للتعايش معها وإيجاد المبررات التي تعييننا عليها، فكما يبذل الأخرون مجهودا لإيجاد المبررات فيما يفعلونه بنا نبذل نحن جهدا مضاعفا لإيجاد المبررات التي تعيننا على

قبول مايفعلونه بنا حسب قناعتهم بدون أن ينغص علينا هذا حياتنا.

عندما يعمد الأخرون إلى أخذ مايريدونه بقوة الذراع فإنني لاأستطيع أن ألومهم على ذلك لأن لكل منا ثقافته ومفاهيمه، ولكن عندما نركن نحن إلى قبول أن تُأخذ منا حقوقنا عنوة بل ونحاول أن نقنع أنفسنا أننا لن نتمكن من تغيير المجتمع كله وأن هذا الأمر أصبح فرض عين؛ فإنني لا ألوم إلا نفسي لأنني قبلت أن أكون كالشيطان الأخرس، ومن منا لم يقبل؟. إن إحساسنا بالضعف هو الذي ولّدَ عند الآخرين إحساسهم بقوة منطقهم وأعطاهم الحق في فرضه علينا ما دمنا الضعفاء.

إنتى.. جايه تشتغلي إيه؟

إنتي جايه تشتغلي أيه

لكم أضحكتني العظيمة ماري منيب وهي تتباري مع القدير عادي خيري في استكشاف سبب قدومه لقصرها بهيئته المتواضعة التي تدل على أنه ليس من البكوات أو الباشوات أصدقائهم، وأنه فرد عادي من أفراد الشعب وقد أتي ليبحث عن عمل، وتظل تسأله لمدة ربع ساعة، ولأكثر من ثماني مرات:

إنتي جايه تشتغلي أيه؟

ولأن المبدع عادل خيري كان يريد العمل في القصر لحاجة في نفسه، فقد قبل أن تظل تسأله، وفي كل مرة يجيبها مرة بإجابة مباشرة وهو يقول لها "سواق ياست هانم" ومرة أخرى يمثل لها ماذا سيفعل ويأتي بالدكة ويجلس على طرفها وكأنها سيارة ثم يبدأ في تمثيل أنه يقود هذه السيارة بل ويضرب البوري أيضا وهو يقول (أعو ووا أعو ووا) لعلها تفهم بالإشارة إن لم تفهم بالكلام وتتوقف عن سؤاله: "إنتي جايه تشتغلي أيه؟".

بل وإمعانا في النكاية الكوميدية، تبدأ المستخدمة في وصفه بأنه حمارة لأنه لا يفهم ما تقوله، ومرة أخرى بأنه بغلة؛ لإنه يصر على مناداتها مدام، وهي لازالت مودموازيل في الستين من عمرها، ولازال صديقنا طالب الوظيفة يقبل ويتنازل حتى ينتهي به المطاف بأن يتغير اسمه ليصبح عبده لإن كل السائقين الذين يعملون عندها لازم يكون اسمهم عبده.. ويقبل المسكين أن يصير حمارة وبغلة ثم ليصبح في النهاية.. عبده.

يبدو أن أكل العيش كان مرا في هذا الزمان وأن الواحد منا كان لابد له من أن يقدم البعض من التنازلات من أجل أن يستطيع الالتحاق بوظيفة ثم البعض الأخر من أجل الحفاظ عليها.

عند عودتي من رحلة العمل بالسعودية والتي استمرت لسنين وقد قررت أن أبدأ في إنشاء شركتي الخاصة في مجال عملي في مصر، وذلك حتى أستطيع أن أعيد ترتيب حياتي

من جديد، وأن أتجمع مع عائلتي التي أفتقدها كثيرا في سنوات الغربة. المهم أنني قررت أن أبدأ نشاطي في المجال الذي أفهمه وهو إدارة المشروعات بالرغم من تحذيرات كل الأصدقاء والأهل من هذا القرار الذي لن أعرف عاقبته إلا بعد تجربته والإنكواء بنار المصريين.

ولإنني من المؤمنين بمصر وبشعب مصر فقد قررت خوض المغامرة بغض النظر عن الصعاب التي ستقابلني وإن كنت لم أستطع أن أخفي نظرات وعلامات وإشارات ودلالات وكلمات، بل وأصوات التعجب وعدم التوقع والاستغراب، بل والذهول لما أصابنا من تغيير جذري في سلوكياتنا وقناعاتنا، وبالتبعية تصرفاتنا التي لاتنم أبدا عن حالنا، وإن كانت تعكس –بكل تأكيد– ثقافتنا وقناعتنا الجديدة.

عندما بدأت في تأسيس شركتي اشترطت على مراقب الحسابات أن يتم مراجعة حساباتي بمنتهي الدقة وبدون أي تلاعب حيث أنني لا أنوي على الإطلاق التلاعب في دفاتر الضرائب، ليس كنوع من الإستجابة لحملات مصلحة الضرائب والتي كانت تؤكد في اليوم أكثر من ثلاثين مرة في الإذاعة والتليفزيون، أن الضرائب مصلحتك أولا، ولا أدري إلى الآن ماهي مصلحتي في الضرائب، لأنني لا أعلم على الإطلاق مصادر صرف أموال الضرائب، وإن كنت أعلم على الأقل –بنسبة واحد إلى حوالي أربعة ملايين– إحدي مصادر دخل مصلحة الضرائب (وهو قيمة ما أدفعه أنا بالقطع)

المهم أن قراري كان على قناعة شديدة جدا مني أنني سأدفع الضرائب المستحقة عن نشاطي كنتيجة مباشرة لقناعتي أنني بقبولي بمحض إرادتي أن أعود لأعمل في بلدي مصر، مع علمي بكل ماسيقابلني من قوانين وروتين وأحكام وأشتراطات ورسوم جمارك وضرائب... إلى ماغير ذلك من مصروفات معلنة أو غير معلنة، فإنني قد قمت بتوقيع عقد مع الحكومة المصرية تسمح لي بمقتضاه أن أعمل في مصر نظير كل ماسبق ذكره.

ولأنني أعلم كل هذه التفاصيل، فإنني بقبولي العمل في مصر فإن هذا يعني موافقتي والتزامي بكل هذه الاشتراطات، سواء كانت منصفة لي أو غير منصفة وسواء علمت مصادر صرف الضرائب أم لم أعلم.. وسواء تطوع أحد الأشخاص وأفتي بحرمانية الضرائب أو أفتي غيره بأنها حلال.. فطالما قبلت فإن هذا هو توقيع مني على عقد مع الحكومة المصرية للسماح لي بالعمل على أن تطبق الشروط والأحكام. وأعلم تمام العلم مايدور بخلدكم الآن وأنتم تتسائلون وهل الحكومة المصرية هي صاحبة البلد وهل

أصبحنا ضيوفا ليسمح لنا بالبقاء أو الانصراف، بالعمل أو بالاستغناء.

وحيث أن الإجابة على هذا السؤال تعتبر شائكة وستدخل بنا في مجال بحثي فلسفي قد يخرجنا عن موضوعنا الأساسي، لذا فإنني لن أبحث هذا الأمر الآن، وسأكتفي بالقول أن الحكومة المعيّنة أصبحت بحكم منصبها هي المسئولة عن وضع القوانين وتنفيذها، ولهذا كان لابد لنا من العمل وفق هذه القوانين بغض النظر عن مستوى قبولنا لها، وإلا كان لزاما علينا العمل أولا على تغيير القوانين قبل البحث عن تطبيقها، لأن تطبيق القوانين هو فرض مجتمعي، ومن يخالفه يصبح في نظر المجتمع والحكومة التي تدير شئون هذا المجتمع خارجا على القانون، ولن يقبل أبدا دفاعه الذي يبنى على أنه غير موافق على القانون لذا قرر أن لا يطبقه.

عموما، فقد قررت الالتزام بالرغم من نصيحة كل العالمين ببواطن وظواهر الأمور بأنني يجب أن لا أتسرع، وأن أعطي لنفسي فرصة لدراسة الموقف في نهاية السنة المالية، ثم تأتي مرحلة القرار بناء على ما سنصل إليه من نتيجة وأرباح إن شاء الله.. ولكنني رفضت، بل وأصريت على أن يتم وضع نظام مالي لا يمكنني من التلاعب في دفاتر الحسابات في نهاية العام، وكان ما كان وأرجو أن لا يسألني أحد إن كنت ندمت على قراري.. أم لا؟

وبدأت بعد ذلك رحلة البحث عن موظفين من حديثي التخرج وذلك لأن نشاط الشركة يعتمد في معظمه على طاقة وحيوية الشباب ولا يحتاج في نواحي كثيره منه إلى خبرات قديمة، كما أن طريقة العمل التي سننتهجها تختلف فنيا وإداريا عن المطبق في السوق، وأن الخبرات القائمة قد تصبح عائقا لتطبيق نظام العمل الذي أرغب في تطبيقه إذا ما أحتكم الموظف إلى خبرته الشخصية والتي أكتسبها من عمله السابق.. لهذا قررت البحث عن حديثي التخرج على أن أقوم بتدريبهم وإكسابهم الخبرات والمهارات اللازمة في عملنا من خلال دورات تدريبية ستقوم الشركة بتنظيمها بالاتفاق مع إحدى مراكز التدريب، والتي ستتولي وضع البرامج التدريبية الفنية والشخصية لموظفي الشركة، وأن ألتزم تعاقديا بقيمة محددة سنويا كبدلات تدريب لكل موظف وذلك لضمان الوصول بالمستوي الفني للموظفين إلى الدرجة التي تخدم تطلعات الشركة في توفير أعلي مستوى خدمة ممكن لعملائها.

فالغرض الأساسي بطبيعة الحال هو خدمة الخطة الاستراتيجية للشركة والتي يلزم

معها تطوير أداء الموظفين ومهاراتهم الفنية والشخصية للوصول إلى أعلى معدلات أداء ممكنة تتناسب مع مثيلاتها العالمية، وهو غرض نبيل طالما سيحقق فائدة غير مباشرة طويلة المدي للشركة، وفي سبيل ذلك سيحقق أيضا فائدة مباشرة لكل العاملين بالشركة.

أسف على الإطالة في شرح هذه النقطة ولكن عند هذه النقطة بالتحديد يكمن مربط الفرس.. بدأت في ال اتصال بالأصدقاء والمعارف أولا حتى أستطيع الوصول إلى خط اتصال مع إحدي الجامعات المصرية الشهيرة لتوفير البيانات الشخصية للمتخرجين حديثا من كلية الهندسة –منذ شهر واحد فقط– وقد تمكنت بتوفيق الله سبحانه وتعالي من الوصول إلى ما أريد بحيث تمكنت من مقابلة مايزيد عن مائة مهندس ومهندسة كلهم من خريجي شهر واحد مضي.

قابلت المهندسين والمهندسات وقمت بعرض فكرة موجزه عن الشركة وخطتها في العمل والتوظيف والتدريب –كما أوضحت سابقا– وكنت أختم عرضي هذا في كل مقابلة بسؤال واحد.. ماهو الراتب الذي تتوقع الحصول عليه معنا؟

ولكم كانت دهشتي عندما وجدت الإجابة تقريبا متطابقة بين مايزيد عن **95%** من إجابات المتقدمين والذين أكدوا جميعا أن زملائهم الذين عملوا الآن يتقاضون مرتب أساسي في حدود ألف وخمسمائة جنيه مصري، وحيث أنني لم أكن على دراية تامة بسوق العمل في مصر فإنني لم أكن أدخل معهم في جدال حول الراتب وخاصة أن إجمالي الراتب الذي كنت أنوي عرضه عليهم يتضمن راتب أساسي في هذه الحدود.

عموما، قمت بعد ذلك بعرض مهام عملهم وإعطائهم فكرة عن إفراد الراتب الذي حددناه لهم، وهو ماتضمن بدون أي نقاش نفس المبلغ الذي طلبه أكثرهم، ويزيد عليه أنني سأدفع عنهم الضرائب المستحقة للدولة والتأمينات الاجتماعية بالإضافة إلى برنامج التدريب الذي كنت قررته من قبل والذي سيكلف الشركة مبلغ في حدود عشرة ألاف جنيه سنويا لكل موظف، على أن يتم تحميل هذه القيمة ضمن ميزانية تطوير الأعمال، وأن لاتخصم من راتب الموظف.. لقد كنت واهما أبحث عن توفير أعلى مستوى ممكن من الراحة للموظفين حتى يمكنني أن أخذ منهم أعلي مستوى ممكن من الإلتزام والولاء الوظيفي.. وهم كبير.

وحتي أستطيع أن أمضي في هذا النموذج التوظيفي والذي هو معمول به في معظم الشركات العالمية والشركات متعددة الجنسيات، فقد اشترطت على الموظفين أن يكون

العقد التوظيفي لهم محدد بمدة أربع سنوات حتى أستطيع استرداد المردود الاستثماري فيهم، حيث أن الموظف الواحد سوف يكلف الشركة في الشهر مبلغ يزيد عن ألفين وستمائة جنيه عند إضافة البدلات والضرائب والتأميناتـــ وهو مايزيد بنسبة حوالي 75% عن ماطلبه كل واحد منهم.

هل يرى أحد منكم أنني أخطأت في طلبي هذا؟

هل يرى أحدكم أنني أستعبد هؤلاء الموظفين؟

هل يرى أي منكم أنني أحاول شرائهم بالمال؟

عموما، آيا كان رأيكم، فإنني فقط كنت أحاول أن أعمل على تطوير قدرات ومهارات شباب حديث التخرج لا يمتلك أي خبرة عملية على الإطلاق، وأن أوفر لهم فرصة عمل قد لاتكون متوفرة للكثير في ظل البيانات الكثيرة التي تخرج علينا كل يوم بتفشي البطالة في المجتمع المصري ومسئولية الحكومة عن توفير فرص عمل، وهو ما كنت ولازلت أعتقد أن شرفاء هذا الوطن يقع عليهم جزء من هذا العبء، وأن عليهم أن يعملوا جنبا إلى جنب مع الحكومةـــ ليس فقط لتوفير فرص العمل؛ بل وإلى الارتفاع بمستوى هؤلاء الشباب وإحساسهم بأدميتهم وكيانهم، وفي المقابل يجب على هؤلاء الشباب أن يلتزموا بعملهم وأن يتعلموا أن العطاء يقابله عطاء وأن الالتزام يقابله التزام، وأن توفُّر الفرصه يلزمه التمسك بها.

هل تعلمون ماهي الردود التي تلقيتها فور عرضي لإفراد الراتب والشرط الذي يجب الإالتزام به من أجل تحقيق هذا العرض؟

أربع سنين!!.. هذا كثير جدا!!..

وماذا لو أتي لإحدنا الفرصة ليسافر إلى إحدى دول الخليج بأضعاف هذا الراتب؟

وماذا لو أضطررت إلى ترك الشركة قبل انقضاء فترة الأربعة سنين الإلزامية هذه؟

إنك تشعرنا أننا في فترة التجنيد الإلزامي!!..

وحاولت أن أفسر لهم أنني من أجل أن أوفر لهم هذا الراتب والبدلات والدورات التدريبية والضرائب والتأمينات فإنني لابد أن أشعر بأن هؤلاء الأشخاص الذين سأستثمر فيهم سيستمرون معي لفترة تغطي هذه الاستثمارات.. حاولت أن أفهمهم

الفرق بين التكلفة والاستثمار، وأن التكلفة تدفع مقابل أداء خدمة ولكن الاستثمار يدفع مقابل خطة مرودها بعيد المدي، ولكن بطبيعة الحال.. لا حياة في من تنادي.

الشخص الموظف: طيب مابدال ما تدفع الضرائب إديها لينا كاش وموش عايزين لا ضرائب ولا تأمينات.

أنا: ده نظام البلد وماقدرش أغيره

الشخص الموظف: طيب إدفع لي فلوس التدريب دي وأنا أحضر بيها ماجيستير.

أنا: أنا موش عايز منك ماجيستير، أنا عايز أدربك على أساسيات شغلنا ولازم أحطلك البرنامج اللي يفيدك ويفيد الشركة.

الشخص الموظف: بس أنا ماقدرش أمضي معاك على أربع سنين.

أنا: ليه؟.

الشخص الموظف: كل أصحابنا بعد ماتخرجوا بشوية سافروا على (دبي) والسعودية وإنت عارف المرتبات هناك قد إيه؟.

أنا: بس انت علشان تطلع وتشتغل لازم تثبت نفسك الأول في بلدك وتعرف على الأقل انت حتشتغل أيه.

الشخص الموظف: حاشتغل مهندس والا حضرتك حتشغلني حاجة تانية؟.

أنا: أه .. طبعا.. مهندس.. أومال أيه.. إلا هوه إنتي جاية تشتغلي أيه؟.

في الحقيقة أنا لاأستطيع أن ألوم شباب هذا العصر لأنه قد نما وسط قيم اجتماعية مختلفة تماما وثقافة تبث التناقض في روح هذا الشعب. فعندما يتربى شباب هذا العصر على أن القوة هي السبيل الوحيد لأخذ الحقوق، سواء كانت هذه القوة هي قوة الصوت العالي أو قوة المنصب أو قوة المال أو قوة الواسطة أو قوة المستندات أو قوة الإقناع.. المهم أنه لن يمكن الحصول على ما نعتقد أنه حقنا إلا بوجود نوع ما من القوة، فماذا ننتظر من هذا الشباب؟.

هل ننتظر أن يستطيع وضع خطة لحياته على مدار الخمس سنين القادمة؟

هل ننتظر أن يستطيع أن يحدد أولوياته بناءً على تطلعاته لا احتياجاته؟

إننا نعيش في زمن ميدو!!..

في بدايات هذا القرن صعد في سماء كرة القدم المصرية نجم صغير في السن قرر أن يخوض بنفسه وبمعرفته تجربة السفر والاحتراف، وأن يتحمل من أجل أن يصنع أسما لائقا في تاريخ كرة القدم المصرية.. وهو حلم شريف ويااليت كل شاب مصري يكون له حلم مواز يخدم به نفسه ويخدم به وطنه.

في نفس الوقت الذي سطع فيه نجم ميدو في مصر كان هناك تجربة أخرى كاميرونية تدعي (صامويل إيتو) وأخري عاجية تدعي (دي روجبا) وكل منهم له نفس الحلم وعنده نفس العزم وسلك نفس المسلك، من أخذ الاحتراف منهجا وطريقا.. وخرج الثلاثة من القارة السمراء إلى القارة العجوز، كلٌ في طريقه محاولا أن يجد لنفسه موطأً لقدمه وسط غابة تمتلئ بالكثير والكثير من الأقدام الموهوبة، وحيث البقاء هنا للموهوب والقادر والملتزم قبل كل شيء.

فماذا حدث بعد انقضاء هذه السنين العشرة منذ خروج الثلاثي المرعب وإلى الآن، كلنا يعرف تماما أن (دي روجبا) يلعب في نادي (تشيلسي) الإنجليزي و(إيتو) كان في النادي الملكي (ريال مدريد) قبل انتقاله إلى (الإنتر) في الدوري الإيطالي وقد قضى كل منهم نفس الفترة التي قضاها ميدو بحيث تنقل بين ثلاثة دول وأربعة نوادي أثنان منهم على الأقل يقعون ضمن أفضل عشرة نوادي على مستوى العالم.

أما صديقنا ميدو فقد تنقل بين حوالي سبعة دول وعشرة أندية. أي أن معدل بقاء ميدو في نفس النادي (محل العمل) كان في حدود العام بينما كان معدل زملاء الدرب يزيد عن الثلاث سنوات. ولكن المهم أن ميدو يلعب بالخارج وأصبح له سعر ومعظم النوادي الإنجليزية التي تصارع الهبوط تطلب خدماته حتى يستطيع أن يبقيها في دوري الأضواء.

لقد أصبح ميدو هو النموذج الذي يريده شبابنا، يريدون السفر وانتهاز الفرصة والعيش بحرية بحيث يتمكنون من الانتقال من هذه الشجرة إلى تلك بدون أي رقابة أو اشتراطات.. يريدون أن يجمعوا المال بأي طريقة ولا مانع من العمل هنا لمدة عدة أشهر حتى تأتي فرصة أفضل توفر دخلا أعلى، فننتقل من هنا إلى هناك طالما الدخل سيزيد فلا شيء يهم وأن الخبرة يكتسبها الإنسان تقاس بالوقت وليس بالإنجازات.

نعم لقد أصبحنا في زمن ميدو؟ وأنا لا ألوم أحدا إلا أنفسنا لإننا انقسمنا على أنفسنا وأصبح هناك الجمع الكثير الذي يهلل للإنجازات الزائفة ويشيد بهدف تم إحرازه أو بخطوة تم تحقيقها، حتى وإن كانت في الطريق الخطأ، وليس أدل على ذلك إلا ما حدث عندما قام حارس مرمى مصر الأول (عصام الحضري) بترك شركته التي هو متعاقد معها (النادي الأهلي) والذهاب للعمل بالخارج بدون إنذار فسخ تعاقد أو مهلة رحيل.. وقد انقسم المجتمع المصري في وقتها على نفسه بين مؤيد لحق الرجل في أن يحقق حلم حياته بالسفر والعمل بالخارج، وبين معترض على هذا الأسلوب الذي لا ينم عن أي ولاء أو احترام للكيان الذي عمل على صنع اسم (الحضري) ووضعه في مصاف أعظم حراس مرمي في القارة السمراء.

ولكنني هنا لا أنظر للموضوع بشكل رياضي بقدر ما أراه بشكل وظيفي، فالموظف في الزمن الأصيل يلتزم بعمله الذي وفره له صاحب العمل وصبر عليه في سنوات تعلمه حتى أصبح متمرسا في عمله ويتهافت عليه الشركات المنافسه نظرا لأنه استطاع أن يثبت نفسه في عمله الحالي والذي –مرة أخرى– وفره له صاحب العمل وصبر عليه وهو لا يزال يتعلم ويخطأ ويفسد بعض الأمور، ولكن صاحب العمل يتحمل هذا، وهو يصدق أن هذا الموظف سيأتي عليه يوم يتمرس في عمله ويستطيع أن يجني من وراءه العائد على الاستثمارات التي ضخها فيه.

إنني أصدق بل وأعتقد يقينا أن للنجاح مسارا ثابتا يمر به معظم الناجحين، هذا المسار يبدأ من التوفيق في وضع الخطط والاستعانة بذوي الخبرة ثم الالتزام بهذه الخطة مع عدم الانسياق وراء العوائد المغرية البراقة التي تستلزم منا التخلي عن قيمنا وأخلاقياتنا وخططنا، لأن للنجاح ثمنا ولازلت أيضا أعتقد أن أكبر ثمن للنجاح هو قدرتنا على الوقوف أمام رغباتنا وشهواتنا ومتطلباتنا وأن نستطيع أن نقول لأنفسنا في وقت ضعفها.. لأ.. أنا لن أنزلق.

اللهو الخفي

اللهو الخفي

إن معظم الشركات العالمية التي تعمل في مجال السلع الاستهلاكية والخدمات التي تستهدف العميل ويكمن ربحها في مدي رضاء العميل عن الخدمة التي يتم تقديمها، تقوم بتوفير نوع مميز جدا من الخدمة يسمي بخدمة ما بعد البيع يتم توفيرها لعملاء الشركة الذين نفذوا عملية البيع والشراء، أولا بناء على اشتراطات البائع ومن ثم فإنهم يستحقون التمتع بخدمة ما بعد البيع حيث يتم توفير خدمة الصيانة وضمان الأعمال وقطع الغيار الأصلية التي تخدم السلعة التي اشتراها.. المهم في هذه الخدمة أنها تقوم في الأساس على عملية تحليلية للبيانات الإحصائية التي يتم توفيرها عن طريق قسم خدمة العملاء والذين تكون مهمتم تقييم الخدمة التي قامت الشركة بتقديمها لتحليل مستوى رضاء العميل عنها واستعداده الشخصي للاستمرار في التعامل مع الشركة بناء على مستوى الخدمة التي تقدمها الشركة، سواء كانت خدمة البيع أو خدمة مابعد البيع.. المهم الخدمة التي نقدمها من أجل تعظيم العائد بعد ذلك.. أي أن الخدمة قبل العائد.

ولكن عندنا، الأمر مختلف.. عندنا ننظر جميعا إلى العائد أولا، ننظر إلى النتيجة قبل أن ننظر إلى سير الأجراءات التي تضمن النتيجة.

عندنا نهتم جدا بالكم قبل أن نبحث عن الكيف، لإن الكيف يمكن التغلب عليها

بعدة طرق قد تختلف من شخص لأخر بناء على ثقافته وأسلوبه في العمل وقناعاته الشخصية وإن كانت جميعها ستنتهي إلى نقطة اتفاق واحدة يتلاشي عندها الفروق ويتقابل عندها الفرقاء ألا وهي كم سنجني من وراء هذا أو ذاك.

في إحدى زياراتي لمصنع ملابس التي من المفترض أننا نشتهر بصناعتها، لإن مصر من الدول الرائدة في زراعة القطن، والذي كانت علامة مميزة في صناعة الملابس على مستوى العالم عندما كانت دول العالم تكن كل الاحترام للقطن المصري طويل التيلة، والذي أخذ في القصر حتى أصبحنا نحتاج إلى ميكروسكوب لنستطيع تحديد طوله بعدما استطاعت الهند والصين وتركيا والمكسيك أن تنافسنا في إحدي ميزاتنا التي حبانا بها الله سبحانه وتعالي، وأصبحوا قادرين على أخذ حصة كبيرة من السوق العالمي وأصبحنا نحاول إبرام الاتفاقات التجارية التي تضمن لنا حصة بعدما كانت دول العالم تتهافت علينا.. بل والأدهى من ذلك أن هذه الدول قدمت إلينا لتغزونا في أرضنا وتبيع بضاعتها لنا نحن المصريين، ونحن لانستطيع في المقابل بيعهم واحد على عشرة من حجم صادراتهم إلينا.. وبتطبيق قاعدة الهدف بهدفين خارج الأرض نجد أن النتيجة الآن أصبحت أربعة وسبعين لصفر لكل دولة على حدة، ولازلنا نحلم بالوصول إلى النهائيات.

المهم أنني عند زيارتي للمصنع وقيامي بتفقد خطوط الإنتاج وخطط مراقبة الجودة استطعت اكتشاف سر من أسرار العبقرية المصرية في الإدارة والتي تعتمد في مجملها على النتائج لا الإجراءات.

لقد اكتشفت أن وحدة مراقبة الجودة في المصنع هي عبارة عن طاولة كبيرة يجلس عندها العديد من الفتيات حيث يتم تجميع الإنتاج اليومي ووضعه أمامهم ليقوموا بمراجعته قطعة قطعة للتأكد من أنه قد تم تجميع القطعة بطريقة صحيحة وإزالة أطراف الخيط والتأكد من أن الأزرار قد تم تثبيتها جيدا. ثم يتم ترحيل القطع التي تم فرزها إلى قسم الكي والتغليف ليتم تسليمه بعد ذلك في مخازن المنتج النهائي.

قد يرى البعض أن هذه الطريقة كافية لتحديد جودة المنتج النهائي وأنه سيمكنهم بطبيعة الحال من فرز المنتوجات للتأكد من جودتها ومستوي القبول لكل قطعة. وأنا لن أختلف معهم كثيرا إذا ما اعتبرنا أن هذه الوحدة هي المحطة النهائية لتحديد مستوى قبول المنتج النهائي.. ولكنني أختلف جذريا معهم إذا ماكانت هذه المحطة –التي يجب أن تكون النهائية– هي المحطة الوحيدة لقسم مراقبة الجودة.

عندما نسمع أو نقرأ عن تطبيق برامج مراقبة الجودة فإنه يتولد لدينا يقين أن المواد الأولية الداخلة في التصنيع قد تم مراقبتها وأن إجراءات التصنيع التي تم اتباعها تمت وفق سياسة تصنيعية قياسية تميز مصنع الملابس عن الخياط الذي يقوم بحياكة كل قطعة على حدة وفق قدرته ومهارته ومزاجه عند تصنيع هذه القطعة، وهو ما يميز برامج الصناعة المتكاملة عن الحرفيين الذين يمتهنون هذه الصناعة ولكن لا يمتلكون برامج التصنيع المتكاملة التي تضمن أن كل قطعة تخرج من المصنع تتشابه مع مثيلاتها وأن مقدار الحيد عن المعايير القياسية هو في أقل مستوى ممكن لهذه الصناعة.

لقد قمنا هنا باختصار كل إجراءات مراقبة الجودة إلى نقطة تفتيش نهائية تراجع المنتج النهائي الذي سيتم بيعه وجني الأموال من ورائه وتحديد مستوى قبول المنتج من وجهة نظر الشخص الذي يقوم بمراجعة المنتج النهائي، بدلا من وضع إجراءات مراجعة قياسية لكل مرحلة على حدة.. لقد أهملنا في إجراءات مراجعة جودة المادة الخام عند استلامها ومراجعة إجراءات التفصيل ثم إجراءات التصنيع لكل خط إنتاج حتى ننتهي عند إجراءات التجميع قبل أن نبدأ في إجراءات مراجعة المنتج النهائي للتحقق من أن كل مرحلة قد تمت مراقبتها بعناية ووفق سياسة الإجراءات القياسية التي تم وضعها.

إنني أتحدث عن الفرق بين ما يحدث عندنا وبين ما يحدث عند كل الدول التي قررت أن تتقدم في صناعتها، وذلك بفرض نظام حياة على كل المواطنين يقضي بقبول مبدأ مراجعة الإجراءات لكل مرحلة، ولا يجد المواطن أي غضاضة في مراجعة خطوات عمله

مرحليا ضمن سياسة الإجراءات المتكاملة حتى أصبح هذا النظام هو ثقافة بذاتها يتبعها المواطنون في حياتهم العادية؛ لتصبح بعد ذلك عادة تنفيذية يلتزم بها العمال في مصانعهم والموظفون في شركاتهم بدون الحاجة إلى إيجاد النظم التي يستطيع عن طريقها رب العمل فرض هذا النظام على العاملين بمؤسسته.

عند دخولي إلى محطة محروقات لتزويد سيارتي بالوقود وأقف في الصف منتظرا للسيارة التي أمامي لتدفع الحساب حيث يقوم العامل بأخذ النقود والذهاب إلى شخص أخر ليعطيه المبلغ وينتظر وأنتظر معه حتى يأخذ باقي الحساب ثم يذهب لقائد السيارة التي أمامي ليعطيه باقي الحساب وينتظر البقشيش وأمامه العامل الأخر الذي يمسح زجاج السيارة ببطء رافعا مساحات الزجاج في إشارة إلى أنه قد قام بعمل إضافي يستحق عنه بقشيش أخر قبل أن يقوم بإنزال مساحة الزجاج ولايهم من ينتظر خلفه لأنه سيأتي عليه الدور ويأخذ نفس الخدمة ويدفع هو الأخر البقشيش بدوره.

أتسأل هنا.. لماذا لايتم وضع سياسة إجراءات ويتم مراقبتها من قبل مشرف الوردية تقضي بأن يتم دفع الحساب عند نقطة خروج من المحطة حتى لا تتكدس السيارات أمام مضخات الوقود في انتظار دفع البقشيش للعمال الذين يؤدون خدمة إجبارية قد لانحتاجها؟

وطبعا كلنا يعرف تماما الإجابة أن هؤلاء العمال المساكين يأخذون راتبا بسيطا جدا، وأنهم يعتمدون بنسبة تزيد عن مائتين في المائة على زيادة دخلهم عن طريق البقشيش الذي يحصلون عليه قسرا من كل واحد منا وذلك بفرض ثقافة الذراع علينا ونحن نقبلها بضجر وتأفف ولكن بدون أي رد فعل.

كلنا يضطر خلال اليوم عند ذهابه لقضاء حاجات عمله إلى صف سيارته في الشارع ليس لندرة مواقف السيارات ولكن لصعوبة الوصول إليها في بعض الأحيان أو لبعدها

الشديد عن مكان عمله، أو للمبالغة الشديدة في تعريفة الانتظار في المواقف المخصصة وهو مايضطر الكثير منا لصف سيارته في أي مكان خالي أو مكان سيارة تخرج من مكانها، وهو ما يحتاج إلى مهارة قيادة خاصة لركن السيارة بالتحرك إلى الأمام والخلف لعدة مرات حتى يمكن صف السيارة في المكان الخالي بين سيارتين وبدون مساعدة من أحد. ولكن فجأة عندما تهم بالتحرك من هذا الموقف الغير نظامي تجد شخصا يقف أمامك وهو يشير إليك بالتحرك للأمام وكأنه قد أوقف لك الطريق لتخرج من مكانك.

إن هذا اللهو الخفي لايظهر إلا عندما تنوي الخروج من موقفك وأنت لا تحتاج خدماته، ولكنه أبدا لايظهر عندما تحتاج إليه وأنت تحاول صف سيارتك.. والعجيب في هذا اللهو الخفي أنه قد حدد تعريفة خاصة به لأي شخص يريد صف سيارته في الشارع على أساس أنه قد حصل على صك ملكية للطريق من الدولة وأنك تقوم بصف سيارتك في أملاكه الخاصه.

وأتسأل مجددا عن مدي الصعوبة التي يمكن أن تجدها الدولة ممثلة في المجالس المحلية بحيث يتم تقنين الوضع وتعميد أناس متخصصين كما كان يحدث بالماضي مسئوليين عن تنظيم حركة المرور والانتظار في الشوارع، بحيث يصبح الرسم الذي يتقاضاه هذا اللهو الخفي هو تعريفة رسمية معتمدة ندفعها بمنتهي الرضا مقابل خدمة رسمية ويمكن أن يضاف إليها أيضا خدمة تنظيف السيارة بدلا من أن ندفعها صاغرين للهو الخفي حتى لا يقوم بتخريب سيارتنا إذا ماقمنا برفض سياسة الذراع التي يطبقها علينا ونضطر لقبولها كما قبلنا أشياء كثيرة أخرى غيرها.

بل أنني قد أذهب لأبعد من ذلك عندما أطالب بتعيين مفتشين كما كان الوضع سابقا مع وسائل المواصلات والتي كنا نجد مفتش الخدمة يصعد في المحطات ليراجع التذاكر، ويتأكد أن السائق والمحصل قد قاما بعملهما حسب سياسة الإجراءات الموضوعة من قبل الشركة.. فلماذا لانجد مفتش على مراقبي مواقف السيارات يأتي على

حين غرة ليتأكد من أن الموظف يقوم بواجبه ويحصل على الرسم الموضوع فقط بدون أي تجاوز؟. إنني أجزم هنا أن الرسوم التي يتلقاها اللهو الخفي منا قسرا تغطي بل وتزيد عن مصروفات تعيين هؤلاء الموظفين ولكنها ستشعرنا في النهاية بإننا أدميين نعيش في دولة تحترم مواطنيها وتحاول أن تفعل شيء بسيط لإراحتهم والأدهى من ذلك أن ذلك لن يكلف الدولة شيئا، بل وأجزم أنه مع الوقت وبقليل من التنظيم قد يصبح مصدر دخل للمحليات أيضا.

ومن الطريق العام أذهب إلى المرحاض العام حيث لايوجد رسوم على استخدام المرحاض بشكل رسمي ولكن صديقنا اللهو الخفي قد ظهر هناك أيضا.

فقط حاول دخول مرحاض في المطار أو في مطعم أو مصلحة حكومية أو ما إلي غير ذلك وستندهش من قدرة هذا الشعب العجيب على الإبداع.. فعندما لا يكون هناك رسم مقرر للخدمة يتفنن اللهو الخفي في إيجاد الطريقة التي تجبرك على دفع رسم للخدمة بطريقة مباشرة.

في أثناء إحدي رحلاتي خارج مصر اضطررت إلى الذهاب إلى المرحاض لألبي نداء الطبيعة –وهو أمر عادي نمر به جميعا على ما أعتقد– وذهبت إلى الحمام الجديد النظيف في الصالة الجديدة النظيفة وهو ماجعلني أعتقد أنه لازال هناك أمل في هذه البلد. ولكن الشيء الغريب عند دخولي إلى الحمام أنه لم يكن هناك أي ورق تواليت موجود في الأماكن المخصصة لهذا الورق، والتي تم وضعها بعناية وبأكثر من طريقة.. فهناك ماكينة الورق الخاص بتجفيف اليد بعد الغسيل وهناك ذراع أخر لبكرة الورق داخل المرحاض، ولكن لم يكن هناك ورق تواليت.

نعم هناك ماكينة وذراع الورق ولكن لم يكن هناك ورق!!..

وفجأة يظهر اللهو الخفي و في يده بكرة ورق ويقوم بقطع جزء كبير جدا منها دليلا على كرمه معي والذي يجب أن أقابله بكرم مالي من ناحيتي.. ويقوم اللهو الخفي بإعطائي الورق مصحوبا بإبتسامه وكلمات الترحاب المصطنعة مثل:

حمد الله على السلامه يا بيه..

تروح وتيجي بالسلامه يا باشا..

وبمجرد أن هممت بالخروج وجدت نفس الابتسامة ولكنها مغلفة بنظرة حادة ومصحوبة بكلمات تحتوي في مضمونها على صيغة أمر من قبيل:

أي خدمة يا باشا.. (أي أنه قد قام بعمل خدمة عندما أخفي الورق الذي هو بالمجان ليعطيه لك خصيصا وبدون طلب)

إن شاء الله ترجعلنا بالسلامة يابيه.. (نظرا لأنه قد يقوم بالدعاء عليَّ إن لم أدفع له فتقع بي الطائرة)

لماذا لم يقم المسئولون عن تشغيل المطار بوضع سياسة إجراءات للتحقق من أن هذا العامل يقوم بعمله في نظافة الحمامات ومراقبتها وخدمة المستخدمين بدون وضع هذه السياسة القسرية المستفزة؟

لماذا لم يتم تعيين مفتش خدمة يقوم بالمرور على هذه الحمامات للتأكد من وجود مواد الاستخدام من الصابون والورق والتأكد من أن الأجهزة تعمل بكفأة وأن العاملين يقومون بدورهم، وأنهم لا يفرضون على الركاب سياسة الذراع لتحصيل رسوم جبرية عن خدمة من المفترض أنها مجانية.. وأرجو أن لا يقول لي أحد أن هذا سيكلف المطار

أجرة هذا المفتش..

إنني أؤكد لكم أن في المطار الكثير من العمال الذين يقومون بأعمال غير مفهومة مثل هؤلاء الذين يقفون بجوار ماكينة تذاكر الدخول والتي كلفتنا الكثير من المال لتعمل أتوماتيكيا ولكنها ويا للعجب لا تعمل إلا من خلال موظف يقوم بالضغط على الزر وإعطائك التذكرة كنوع من توفير الرفاهية للشعب الذي لا يستطيع رفع ذراعه للضغط عل الزر ويحتاج لمن يقوم بهذا العمل المضني بدلا عنه.. إذا لماذا لا يتم تكليف هذا العامل بعمل مفيد مثل مراقبة سياسة الإجراءات، بدلا من هذا العمل العجيب الذي لا أفهمه ولا أستطيع تفهمه حتى الآن؟

لماذا.. ولماذا.. ولماذا؟

أسئلة كثيرة لا أجد لها إجابات إلا أن اللهو الخفي قد استطاع أن يجد لنفسه واسطة كبيرة جدا تمكنه من تطبيق سياسة الذراع علينا وتمنع الآخرين من وضع سياسة إجراءات لتحمينا من هذا اللهو الخفي.. وحسبي الله ونعم الوكيل.

المرور أولاً
أنا قانون المرور الجديد !

المرور.. أولا

لإنني من هواة السفر والترحال بين بلاد الله، فإنني قد اعتدت في كل رحلة لي أن أقرأ عادات الشعوب وطبائعهم وأسلوب حياتهم كنوع من أنواع تنوع الثقافات كما أنني أستطيع أن أعتبره نوعا من أنواع شحن بطاريات الطاقة التي تُستهلك أثناء فترة جلوسي في بلدنا مصر بين العمل والأهل والأصحاب، فضلا عن المعاناة اليومية أثناء الانتقال بين شوارع العاصمة والتي أحتاج خلالها لمدة حوالي ساعتين للانتقال من مصر الجديدة إلى المهندسين ومثلها أثناء رحلة العودة.. ولكن كل هذا يهون في حب مصر والتي لا أشعر بمدى حبي لها إلا عندما أسافر وأستمتع بالناس والشوارع والجو والتعامل مع الأجناس الآخرى، ثم أجد نفسي أعود مرة أخرى لبلدنا مصر لأنني أحبها أو لأنني قد اعتدت على شقائها.

تعلمتُ من رحلاتي خارج مصر أنك تستطيع بسهولة تكوين فكرة مبدئية حقيقية بنسبة كبيرة عن ثقافة أي شعب من خلال مشاهدتك لطباعهم المرورية ومدي التزامهم بتطبيق قواعد المرور، حتى ولو سنحت لهم الفرصة لكسر هذه القواعد.. بل إنني على تمام اليقين أن الإنسان المنظم والمحترم هو من يستطيع أن يحترم النظام حتى في ظل غياب الرقابة وأن احترامنا لأنفسنا ينبع في الأساس من خلال احترامنا لغيرنا واحترامنا للقوانين، سواء قبلناها أو لم نقبلها لأنك لن تستطيع أن تطلب من الآخرين احترامك إن لم تحترم نفسك، واحترامك لنفسك يجبرك على تطبيق القوانين والنظم في الخفاء قبل العلن وذلك لأنك تحترم نفسك والتي هي عليك رقيبة قبل الناس.

عندما تسير في شوارع المدن العربية –الخليجية على وجه الخصوص– والمدن

الأوروبية –الغربية على وجه الخصوص– والمدن الأمريكية –الشمالية على وجه الخصوص– فإنك تستطيع أن تستشعر الالتزام كطبيعة من طبائع أهل هذه المدن، بل إنك تستطيع وأنت تقف في إشارة المرور التي تمتد على مرمي البصر أن ترى النظام مجسدا في طابور السيارات الطويل الممتد على مرمي البصر بدون أن تسمع صوت ألة تنبيه وبدون أن تجد أحد السائقين يخرج من الصف ويمر أمامك في محاولة منه لأن يقف أمامك.

إن الالتزام المروري هو الصفة الغالبة على طباع البشر في أوروبا والدول المتقدمة.. لذا فإنهم عندما يأتون إلينا هنا في مصر نجدهم ينظرون إلى سائقي السيارات وكأنهم يشاهدون هؤلاء المهرجين في السيرك القومي وهم يقومون بحركات بهلوانية غير متوقعة لا نستطيع معها إلا أن نضحك حتى لا يقف قلبنا من الخضة.

كان لي صديقٌ أمريكيٌّ جاء منذ حوالي العام في زيارة سياحية إلى مصر التي قرأ عنها في كتب التاريخ وتشبع بحضارتها التي امتدت عبر السبعة ألاف عام والتي تقف الأهرامات والمعابد والمسلات شاهدة على عظمتها التي كانت.. عظيمة يوما ما.

وقد اشترط صديقي عليَّ أن أتركه يهيم في مصر وحده بدون أي مصاحبه من أحد، لأنه يريد أن يخوض التجربه بنفسه وبدون أي تدخل أو تأثير من أحد، وذلك لأنه يعتقد أنه يعرف عن مصر الكثير ويريد أن يختبر معرفته لنفسه وبنفسه.

وبعد أن أمضي صديقي حوالي أسبوعين هائما بين شوارع القاهرة والأقصر وأسوان وسائحا في شرم الشيخ وزائرا لكل معلم سياحي، استطاع الوصول إليه ليري بأم عينه ماقرأ عنه في الكتب ويتأكد أن معرفته المكتبية قد توثقت بحقائق وشواهد رأها وعاشها ومارسها بنفسه.

اتصل بي صديقي ليخبرني أنه قد أنهى زيارته، وأنه سيسافر اليوم مساءً عائدا إلى بلده بعد تجربه عميقة مريرة في معاناتها، ولكنها عظيمة في نتيجتها.

وأنا في طريقي إلى المطار في حوالي الساعة الثامنة مساءً لأوصل صديقي ليلحق بطائرته والتي ستقلع في الساعة الواحدة صباحا وذلك حسب طلبه أن نتحرك على الأقل خمس ساعات قبل ميعاد الإقلاع لنتلافي الزحام وما قد ينتج عنه من تأخير، سألت صديقي ونحن في الطريق:

أنا: كيف وجدت مصر؟

صديقي الأمريكي: بدون زعل..

أنا: أبدا..

صديقي الأمريكي: إن مصر هي..

إن مصر هي.. أفضل فوضي منظمة

أنا: ماهذا؟ إنني لإول مرة أسمع هذا الوصف عن مصر

صديقي الأمريكي: ياصديقي إن الفوضي عندكم هي العنوان. أنظر إلى الشوارع وكيف يسير الناس في صفوف ثعبانية حيث يلتف الذيل حول الرأس

أنظر إلى الخط الأبيض والذي يجب أن تسير السيارات بجانبه لا فوقه.. هل تستطيع أن تري الخط الأبيض عندكم.

أنظر إلى هذه الميكروباصات كيف تقف فجأة وتتحرك فجأة ويترل منها الناس فجأة ويصعد إليها الناس فجأة.

أنظر إلى الناس من حولك وقد قرروا أن يعبروا الطريق حتى ولو كان الثمن حياتهم،

إنها الفوضي بعينها.. إن تعبير كلمة الفوضي قد تم اختراعه ليصف الشارع المصري

أنا: بس بالرغم من كل ده.. الناس أهي ماشية وعايشة وبتضحك كمان

صديقي الأمريكي: لهذا أقول لك إنها أفضل فوضي منظمة

لقد استطعتم أن تخلقوا هذه الفوضي وأن تضعوا نظام عجيب خاص بكم يمكنكم من التعايش معها. لقد استطعتم أن تضعوا النظام الذي يمكنكم من احترام الفوضي التي خلقتوها بأنفسكم

أنا: بدأت أفهمك للأسف..

صديقي الأمريكي: إنني أتفهم تماما وجود مثل هذه الفوضي في ظل الأمكانيات المتاحة ولكنني لا أستطيع على الأطلاق أن أفهم كيف استطعتم خلق هذا النظام العجيب الذي يمكنكم من التعايش مع هذه الفوضي إلا إن كنتم قد استطعتم أن تجعلوها ثقافة عامة تعيشون وتتعايشون بها.

أنا: أري أنك قد تعمقت في دراستك لمصر

صديقي الأمريكي: الأمر لايحتاج إلى تعمق أو تبحر في الدراسة، الأمر واضح وضوح العيان

أنا: عموما، إن هذا الوصف هو الأول من نوعه بالنسبة لي

صديقي الأمريكي: بل هو الأول من نوعه بالنسبة لي أنا

وسافر صديقي الأمريكي إلى بلده حيث الزحام الشديد والألتزام المروري الأشد مخلفا وراءه العديد من علامات الاستفهام وعلامات التعجب على حالنا وأحوالنا وتحوّلاتنا.

هل حقا وصلنا إلى هذه الدرجة من الفوضي المنظمة التي قبلناها وتقبلناها وأصبحت

ثقافة نعيش بها ونغذيها لتكبر فينا وتتملكنا، وتصبح هي الأسلوب الأمثل لنعيش في بلدنا؟

هل هذه العشوائيات التي تنتشر داخل قلب العاصمة كالسرطان الذي ينتظر الفرصة ليستشري في كل الجسد هي دلالة قاطعة على انتشار الفوضي في قلب العاصمة؟

وهل فشلنا في السيطرة على هذه العشوائيات وقبلنا التعامل معها كأمر واقع نجمع لهم التبرعات ونوفر لهم الغذاء وفرص العمل حتى لا يثور علينا هذا السرطان ويصبح مع الوقت هو الدليل الدامغ على ضعفنا وعلي قبولنا التعايش مع هذه الفوضي من باب اللي ماتقدرش تغلبُّه.. صاحبه؟

هل سير السيارات فوق الخط الأبيض المرسوم وسط كوبري ستة أكتوبر ليكوّنوا حارة سير ثالثة على طريق مكون من حارتين فقط هو دليل الفوضي المرورية وانتشار ثقافة الذراع الفوضوية بيننا؟

وهل استسلامنا لهذه الحارة المرورية التي تولّدت على حساب شعورنا بالنظام والالتزام به هي دليل على خنوعنا؟

هل جبروت سائقي الميكروباصات وتلذذهم بإشاعة الفوضى بيننا وإجبارنا على السير وفق نظامهم لا وفق نظام المرور، هو دليل قوتهم وجبروتهم؟ أم دليل ضعفنا واستسلامنا؟

أم ترى أن عدم مقاومتنا للخطأ الذي نراه كل ساعة ولا نملك إلا الدعاء عليهم هو دليل ضعفنا وهواننا على أنفسنا قبل الناس؟

لقد أصبح المرور من الآخرين وعلى حساب الآخرين وبمساعدة الآخرين وبقبول الآخرين هو المبدأ الذي نعيش به الآن.. أصبح كل واحد منا يرى أن من حقه المرور أولا.

ولكنني أرى أن إصلاح حركة المرور وإعادة تأهيل المواطن المصري لكي يحترم النظام المتمثل في إشارة المرور والخط الأبيض والحارة المرورية وضابط المرور وقوانين المرور؛ هو أول خطوة لكي يتعلم المواطن المصري أن هناك نظاما يجب أن يتبع وأن هناك دورا لكل واحد فينا وأنه لا يمكن لأحد أن يجور على حق غيره حتى وإن امتلك القوة التي تؤهله لذلك أو غابت أدوات الرقابة التي تمنعه من ذلك.

صدقوني.. إن أردنا إصلاح ذاتنا ومقاومة ثقافة الذراع الفوضوية هذه فإنني أؤكد لكم أنه يجب أن نحترم.. المرور.. أولا.

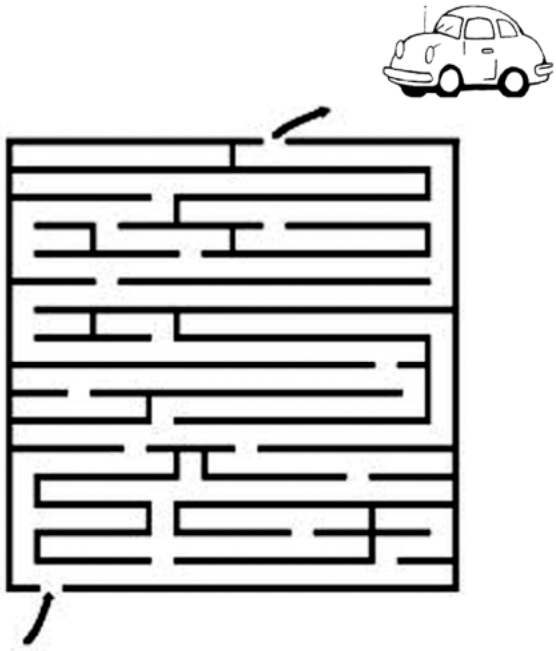

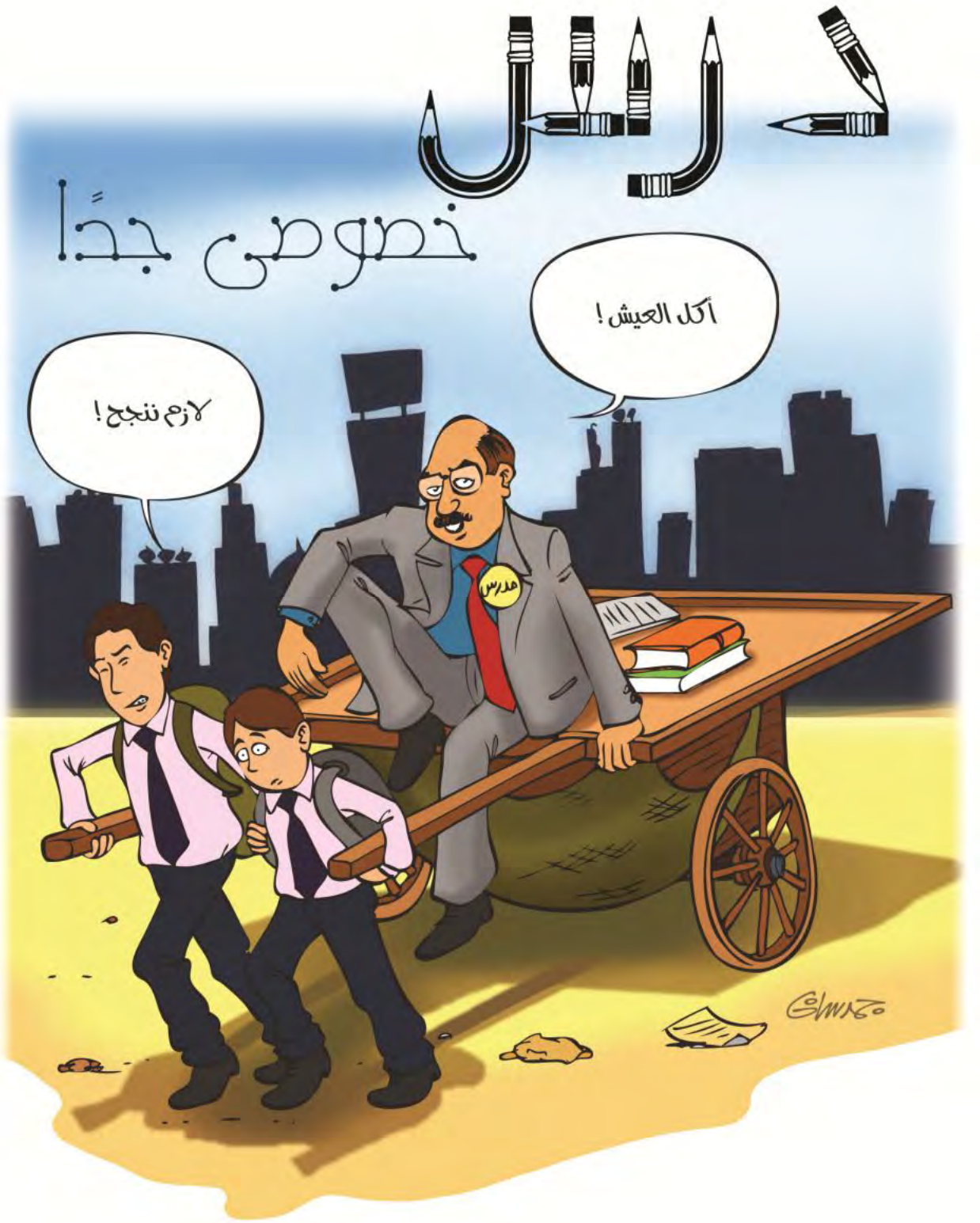
درس خصوصي جدًا
أكل العيش !
لازم ننجح !
مدرس

درس خصوصي . . جدا

قديما قالوا لنا أن قف للمعلم ووقّه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا.. نعم كان المعلم قديما مثالا للأمانه العلمية والأخلاقية والاجتماعية و... كل أنواع الأمانات التي يمكن للعقل البشري أن يتصورها لا لأنه كان نزيها أو مؤمنا أو عنده أخلاق أو بيعرف ربنا.. ولكن لسبب واحد أبسط وأشمل وأعم.. لقد كان مُعلما.

زمان كان المدرس أو الخوجة شكل تاني، مضمون أخر، أسلوب مختلف. كان المدرس قديما له هيبة يفرضها موقعة كمعلم أجيال يأمتنه أولياء الأمور على أولادهم ليعلمهم، ليس فقط النواحي العلمية التي تؤهلهم للترقي في صفوف الدراسة ولكنه كان أيضا مسئولا عن تعليمهم كيفية التعايش مع الآخرين، تعليمهم الأخلاقيات النابعة من ديننا ومن قيمنا وتراثنا، بل وتعليمهم أيضا معنى الاحترام وكيف يمكنهم أن يعيشوا محترمين إذا ما قدموا لأنفسهم بأن احترموا من حولهم.

كان المعلم هو المدرسة، بل كان المعلم هو الأداة التي تعمل على توصيل كل ما يريده الأهل من أخلاقيات وتعاليم وأسس ومباديء إلى أولادهم.. لذا كان البيت يسلم للمعلم بهذه المهمة ويترك له الطريقة التي يختارها لتعليم الأولاد طالما قَبلَ الآهل المدرسة التي يرسلون إليها أولادهم، كان ذلك يعتبر تفويضا للمدرس بأداء مهمته بدون تدخل من البيت إلا للمتابعة وأداء دورهم في استكمال رسالتهم من البيت.

ولأن القيم زمان كانت مختلفة عن قيمنا اليوم، ولإن الثقافة زمان كانت مبنية على

الإبداع في إيجاد الحلول لمشاكلنا اليومية من قلة الدخل وتعنّت المديرين ومطالب البيت وما إلى غير ذلك من المشاكل التي تدفعنا اليوم إلى التعامل معها إنطلاقا من ثقافتنا الجديدة –ثقافة الذراع– والتي لا ترينا إلا طريقا واحدا لحل مشاكلنا، ألا وهو أن نحكم ذراعنا لا عقلنا، لنأخذ مانستطيع بقوة الذراع أو بقوة الواسطة أو بقوة الفهلوة أو بقوة الاستحلال، الأمر الذي أصبح معه كل شيء في المجتمع مستحلا حتى القيم والأخلاقيات وشرف المهنة.

زمان كان المدرس يذهب إلى عمله ليربي أجيالا ولم يكن قط يفكر أن هؤلاء الأولاد الذين هم مستقبل البلد وأملها سيصبحون في يوما من الأيام ثمنا رخيصا لاحتياجاته المادية أو متطلباته الحياتية مهما تعاظمت هذه الاحتياجات أو تكالبت عليه الظروف والمشاكل التي تدعوه لأن يقدم التنازلات من أجل تحقيق أهدافه الشخصية.

كان المدرس يعلم تماما مهام وظيفته، يعلم تماما أنه يأتي للمدرسة بصفته مؤتمنا من أولياء الأمور على أولادهم وأن ميثاق شرف المهنة يحتم عليه أن يلتزم بدوره التربوي وأن يتفاني في شرح الدروس والتأكد من أن كل طالب قد فهم القدر المطلوب حسب قدرته والذي يمكنه من متابعة دروسه في البيت ودون الاحتياج إلى أحد أو طلب المساعدة من أحد.

لم يكن ميثاق شرف المهنة هذا معلنا أو متضمنا في مستندات تعيين المدرس في وظيفته، ولكنه كان مفعلا تمام التفعيل لكل من ينتمي لهذه المهنة الشريفة، كان هذا الميثاق معلنا وإن لم يكن مكتوبا، معمولا به وإن لم يكن معتمدا من جهة رئاسية، مفعلا من الجميع وإن لم يكن ذا صبغة قانونية.

كان المدرس في هذا الزمان الجميل معلما للأجيال بحق، تراه معلما في الفصل وتراه تربويا في فترات الراحة وتراه والدا عند العقاب بينما يكون صديقا عند النقاش. كان

المدرس في هذا الزمن الجميل هو حجر الأساس الذي يتم وضعه لمستقبل أبنائنا من قبل الدولة والمجتمع، ومن ثم نقوم نحن بعد ذلك باستكمال البناء والاستثمار في أولادنا لنفيد الدولة ونساعد في تطوير المجتمع.. لقد كانت العلاقة بيننا وبين الدولة في هذا الزمن الجميل علاقة ثنائية تسير في الاتجاهين، بحيث كانت الدولة تهتم بإخراج مدرسين فاهمين لمهام وظيفتهم ومؤمّنين ضد الفساد والمقايضة بالاحتياجات عن طريق تأمين الحد الأدنى من الاحتياجات الذي يحافظ عليهم شرفاء، وكانت العائلة بالتبعية تقوم بدورها في الاهتمام بأولادها لتخرجهم فاهمين لحقوق الناس من حولهم وحقوق الدولة عليهم وترسخ فيهم معاني الشرف التي تدفعهم إلى التعامل مع مشكلاتهم الحياتية والمادية إنطلاقا من القبول لوضعهم ووضع الناس من حولهم ووضع الدولة التي تتفاني من أجلهم فلاينساق أحدهم إلى تطبيق سياسة الذراع لأنه يحتاج هذا أو لأن الآخرين قد أخذوا ما لايستحقونه أو لإن الدولة لم تقوم بدورها.

هل أخذ طه حسين دروسا خصوصية يوما ما في اللغة الفرنسية أو في الأدب العربي ليصبح عميد الأدب العربي؟

هل فعلها يوما العقاد أو عبد الوهاب أو أنيس منصور؟

هل يستطيع أحد أن يخبرنا عن والده أنه كان يأخذ دروسا خصوصية في كل المواد الدراسية لأن المدرسين لايقومون بشرح المواد الدراسية على الوجهة الأكمل؟

أرجوكم.. أريدكم أن تسألوا وتتيقنوا قبل الإجابة.. أعلم أنه كان هناك بعض الباشوات وأفراد العائلة المالكة يقومون بإحضار مدرسين خصوصين لأولادهم في الصغر ولكن يجب علينا جميعا أن نعلم أنهم كانوا يقومون بذلك من أجل نقل الثقافة الغربية لأولادهم وليس من أجل التعليم الدراسي.

لقد كان المدرس يقوم بواجبه في المدرسة من شرح الدروس الخصوصية وتوجيه الطلاب وكأنه في درس خاص يقبض من وراءه الكثير من المال كحال مدرسينا في هذه الأيام.

وأستطيع أن أسمع الكثير منكم وهو يقول أن ظروف الحياة في هذه الأيام حيث الراتب لا يغطي مصروفات ثلث الشهر وأن المدرس مثله مثل غيره من البشر يحتاج لأن يعيش ويرعي أولاده وأهل بيته وأن يركب سيارة ويلبس ويصرف ويصيف مثله مثل باقي المهن الوظيفية التي حوله، وإلا لأصبح قَدَرُهُ أن يصبح مدرسا؛ هو نقمة عليه يدفع هو ثمنها ليعلم أولادنا بينما نحن نرتع في الخيرات ونركب السيارات ونرتاد المصايف.

ولكن هذا هو بيت القصيد.. فمنذ متي كان لنا الحق أن نقايض على أخلاقياتنا؟

منذ متي كان لنا الحق أن نقايض على ضمائرنا؟

بل منذ متي كان لنا الحق أن نقايض على أولادنا؟

عفوا أيها المعلم.. فأنا لن أقبل منك أي أعذار عندما نتحدث عن أخلاقيات مهنة سامية مثل مهنتك.

أنا لن أقبل منك أي أعذار عندما أتحدث عن أستاذي الذي يعلمني كيف أصبح إنسانا..

لن أقبل أي أعذار عندما أتكلم عن من كاد أن يصبح رسولا فإذا به تحت وطأة الحاجة وسيطرة النفس البشرية وضيق ذات اليد يتحول لأن يكون أبا جهل وإن كان من قبل هو نفسه أبا الحكم.

نعم لن أقبل أن يتحول أساتذتي وأساتذة الأجيال إلى تطبيق ثقافة الذراع علينا لكي نرسل أولادنا إلى معاقل دروسهم الخصوصية لكي نضمن نجاحهم المزوّر.

نعم لن أقبل أن أُستحَل من قبل أساتذتي وأن أقايض بنجاح أولادي الباهت على شرف مهنة كانت شريفة ولابد أن تظل كذلك سواء رضينا أم لم نرض.

لن أقبل أعذارا حتى وإن لم أكن في موقف القاضي الذي يستطيع إصدار حكم بالجلد حتى الموت على هذا المدرس الذي تخلي عن شرفه وقبل أن يبيعه بقليل من المال.. وإن كثُر.

نعم لن أقبل منك وإن كنت أتفهم احتياجاتك وتطلعاتك التي هي مشروعة بكل التأكيد طالما لم يكن الثمن هم أبنائنا، طالما لم يكن الثمن هي نزاهتك. طالما لم يكن الثمن هو ميثاق شرف مهنتك.

تري.. أين تكمن المشكلة؟

هل ندفع نحن الآن ثمن مجانية التعليم؟..

إذا كان الثمن هم أولادنا وأبنائنا، فلتذهب مجانية التعليم إلى الجحيم.

إسألوا هؤلاء الأباء الذين لايجدون مايكفي احتياجاتهم المعيشية عن مصروفاتهم، لتكتشفوا المفارقة المذهلة.

إن ربع دخل رب الأسرة المتوسطة في مصر إن لم يزد، يذهب في الدروس الخصوصية ليحل مشكلة المدرس الذي تنازل عن أساسيات مهنته وأصبح بقدرة قادر تاجر يبيع العلم لمن يستطيع دفع ثمنه بدلا من أن يكون راهبا في محراب العلم.

إذا فلنواجه الأمر بشئ من الواقعية. لماذا لا تأخذ الدولة هذه المصروفات التي يدفعها رب الأسرة قسرا لمعدومي الضمير وتقوم بهذه الأموال بإعادة هيكلة عملية التعليم في مصر وتحسين دخل المدرس لكي لايحتاج لمد يده حتى لا يتم قطعها؟

لماذا لا نقوم بوضع مواثيق شرف للمهن المختلفة ونعمل على تفعيلها بقوة القانون طالما أن قوة الضمير لم تعد مفعلة؟

لماذا أصبحنا نهتم بكم الخريجين ولم نعد نهتم بمستوى هؤلاء الخريجين وأخلاقياتهم التي هي في انحدار لكي تثبت لنا انهيار حجر الأساس أثناء وضعه، وقبل الشروع في بناء الإنسان المصري؟

لماذا قبلنا أن نُستحَل ممن لا يُقبل منهم أبدا أن يستحلونا؟

لماذا نقبل الدنية في أولادنا.. وفي دنيانا.. بل وفي ديننا أيضا؟

من فوق لتحت

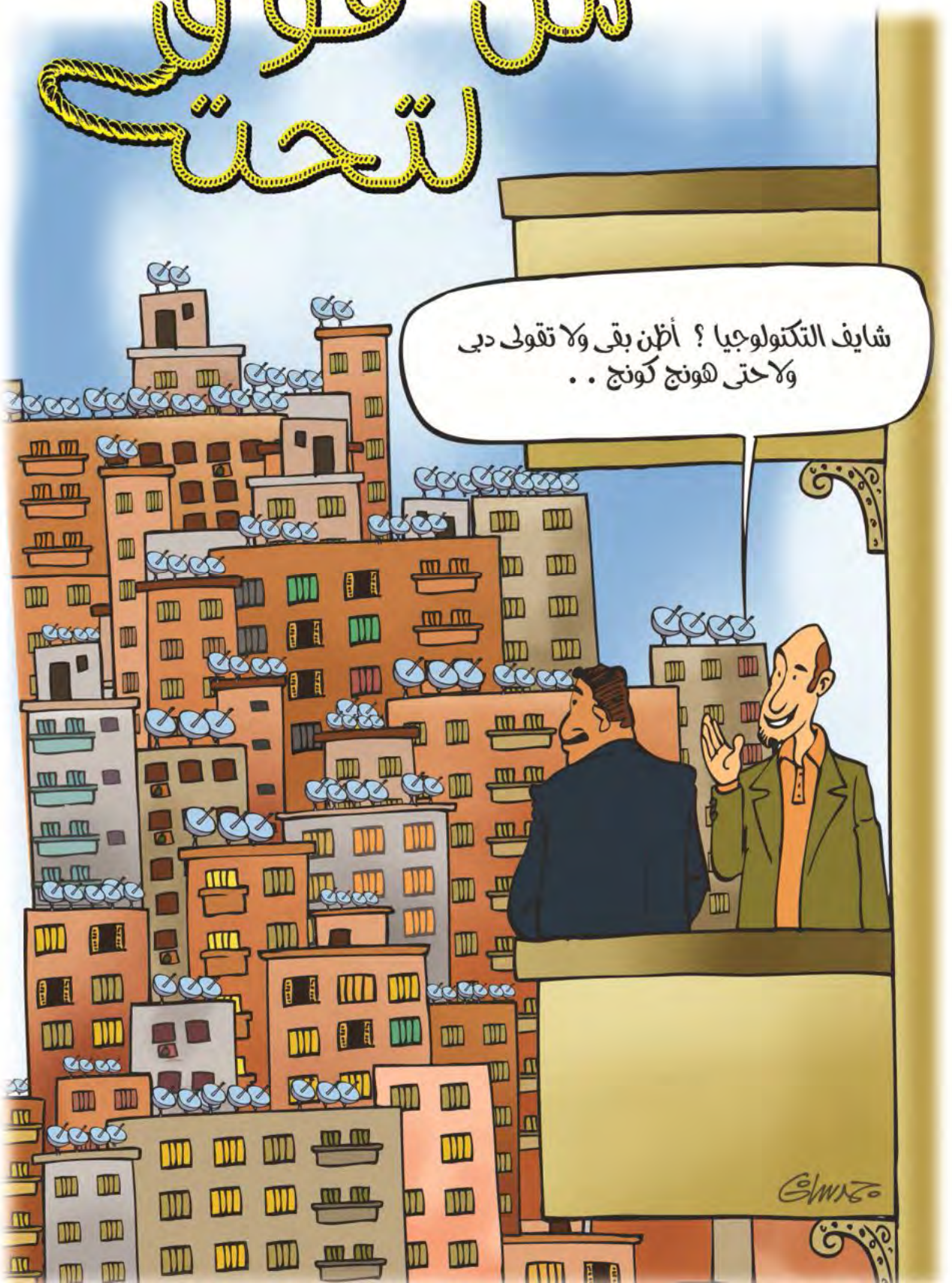

من فوق . . لتحت

من فوق برج خليفة في دبي.. أعلي برج في العالم، شاهدت (دبي) كما أرادها أميرها الشيخ محمد. وكم أنت مذهلة يادبي..

عندما تذهب إلى (دبي) تأخذك روعة البناء وحداثة التصميم وتكامل النظام الذي استطاع في وقت قليل جدا أن يجمع بين كل التفاصيل الإنشائية والمالية والاستثمارية لتخدم التفاصيل الحياتية وتشجع المستثمرين على ضخ استثماراتهم في هذه الإمارة التي كانت صغيرة منذ فترة ليست ببعيدة ولكنها وبقدرة قادر أصبحت عاصمة للتسوق والاستثمار العقاري والسياحة والتجارة والمؤتمرات.. عاصمة للمتعة والاستمتاع

عندما تذهب لدبي تأخذك براعة المصمم الذي استطاع أن يضع على الورق كل هذه الأفكار التصميمية والمخطط الذي استطاع أن يضع الخطط التنفيذية لتنفيذ هذه الأفكار التصميمية والمنفذ الذي استطاع في وقت قياسي أن يجعل هذا الورق حقيقة نراها ونعشقها ونحلم بها ولا نملك إلا أن نقول.. سبحان الله.

من فوق برج خليفة وقفت على ارتفاع حوالي الثلاثة أرباع كيلومتر لأشاهد (دبي) من فوق.. فوق جدا.. جدا.

إن (دبي) من هذا الارتفاع أكثر جمالا بل وأكثر جاذبية عن ما نشاهده ونحن نسير في شوارعها، (دبي) من فوق كانت تماما كما تم رسمها من قبل المصممين الذين لم يتخيلوا

هم أنفسهم أن تصاميمهم التي تفننوا فيها سيتم وضعها بهذه الصورة المذهلة وبهذه القوة التنفيذية التي وضعت كل خط تم رسمه على الورق في مكانه لتكون المدينة مجسم كبير لمخطط تم رسمه بمنتهي الدقة وتم تنفيذة بمنتهى الإتقان.

عندما كنت أسير على هذا الإرتفاع الشاهق فوق برج خليفة أشاهد من حولي النوافير الراقصة والمباني ذات الأضواء المتلألئة والألوان الخلابة وحيث السيارات تسير في الشوارع بنظام بالرغم من الزحام والحدائق التي يزينها خطوط من الزروع والورود من كل شكل وحجم ولون، لم يكن يشغلني كل هذا الجمال الذي أخذ عقلي لبرهة وأنا أسبّح الله على هذا الجمال وهذه الدقة في التنفيذ، ولكني في حقيقة الأمر كنت مشغولا وبشدة في شيء واحد ظللت أبحث عنه في كل ركن من أركان البرج محاولا إيجاده أو فهم كيف يمكن إخفاؤه.

اجتهدت كثيرا وبحثت كثيرا عن الأطباق التي يتم تثبيتها فوق سطح البيوت عندنا في مصر لنتمكن من مشاهدة القنوات الفضائية. أحضرت نظارات مكبرة وحاولت استخدام كاميرات التصوير الفوتوغرافية وكاميرات تصوير الفيديو لكي أتمكن من معرفة أماكن تثبيت هذه الأطباق اللعينة أو لحل لغز اختفائها.. ولكنني للأسف لم أستطع..

ذهبت إلى الفندق وتوجهت إلى مكتب الحجز مباشرة لأسأله: هل لديكم قنوات فضائية في هذا الفندق السبع نجوم؟

وطبعا أجابني مسئول الاستقبال أنه لديهم مايزيد عن خمسة وأربعين قناة ثابتة خلاف القنوات المدفوعة مقدما وهو مايعني أنه لابد أن يكون لديهم عدة أطباق حتى يتمكنوا من تثبيت هذا العدد من القنوات.. إذا أين هو هذا الطبق اللعين؟.

أعتقد أنكم قد بدأتم في التشكك في قواي العقلية الآن..

عندما نكون عائدين بسلامة الله إلى أرض الوطن وقبل هبوط الطائرة في مطار القاهرة الدولي تمر الطائرة وتحلق في سماء القاهرة على بعد يسمح لنا جميعا بمشاهدة أسطح المنازل في قاهرة المعز.

هل سبق وإن مررتم بهذه التجربة من قبل وشاهدتم هذا الكم المريع من الأطباق التي تملأ السطح بالكامل لدرجة التي قد تتسائلون فيها كيف تمكنّا من تثبيت هذه الأطباق بجوار بعضها وبهذا التلاصق الغريب؟.

إن منظر الأطباق الفضائية على أسطح المنازل في القاهرة بل على أسطح المنازل في جميع مدن مصر الغني منها والفقير، النظامي منها والعشوائي، هو منظر يستحق الدراسة بحق.. لقد استطاع المواطن المصري في وقت قصير جدا من التواصل مع العالم من حولنا وتنمية قطاع التجارة وذلك في مجال الأطباق الفضائية والكابلات التليفزيونية وذلك من خلال تثبيت الملايين من هذه الأطباق الغير جذابة على الإطلاق بعناية شديدة جدا فوق أسطح المنازل، وأقصد بلفظ العناية هنا قوة التثبيت حتى لا تطير من مكانها إذا ما تعرضت لموجة من الرياح القوية كما أقصد أيضا بلفظ العناية تحديد مكان التثبيت والذي يتضح من طريقة تجميع الأطباق كلها في مكان واحد أن الإنسان المصري استطاع الوصول إلى سر تحديد النقطة التي يكون عندها الإرسال في أعلي مدي له، لهذا نجد كل الأطباق تتجمع عند نقطة واحدة، متلاصقة.. متوحدة.. متحدة حتى تعطي للناظرين الإحساس بروح العائلة الطبقية وتعمل على ترسيخ مبدأ الوحدة والاتحاد بين أبناء الشعب في سبيلهم للحصول على حقهم المشروع من القنوات الفضائية المجانية وغير ذلك.

إن المنظر حقيقة يستحق الدراسة. فكيف أمكن لهؤلاء الأماراتيين أن يخفوا كل هذه

الأطباق من على أسطح منازلهم وأن يجعلوا من مدينتهم ساحة جمال بحيث أنك وأنت تنظر إليها من الطائرة أو من برج خليفة لاتري إلا جمالا.

إنني أجزم بأنهم قبل أن يشرعوا في بناء برجهم والذي من حقهم تماما أن يفخروا به، قد قاموا بدراسة المنطقة المحيطة به من كل الزوايا والتي تسمي على ما أعتقد –إمارة (دبي)– وقاموا بتخطيطها وتزيينها وترتيبها ونثر المنتزهات هنا وهناك ومد خطوط من الزراعات والبحيرات الصناعية والنوافير الراقصة بل إنهم قد قاموا أيضا بإعادة بنائها لضمان أن خطوط المباني عندما ننظر إليها من علٍ، سنجدها خطوط متسقة منتظمة تدل على أن هناك مهندسا خطط لهذه المدينة لا مقاولا قد قام ببنائها على قد فلوس أصحابها والذين حاولوا بعد ذلك أن يرسموها ليسجلوا ما بها من بيانات.

لوهلة تخيلت لو أن المصريين الذين هم البناءون الأوائل في المنطقة كلها بل وأحد البنائين الأوائل على مستوى العالم قد قرروا أن يتحدّوا الأماراتيين وأنهم قرروا بناء البرج الأعلي في العالم على ضفاف نيل القاهرة ليضيفوا عجيبة جديدة إلى عجائب العالم والتي يملكون إحداها.. تخيلت أننا استطعنا بناء هذا البرج العملاق على غرار الهرم الأكبر لنرتفع فوق السحاب ونتعدي الكيلومتر من البناء وأن الناس من كل مكان في العالم قد أتوا ليشاهدوا هذا البناء العملاق الذي نتحدى به المعماريين العالميين ويستطيعوا من فوق برج القاهرة الجديد أن يشهدوا على الحضارة التي نعيش بها ووسطها.

وقفت في الطابور أمام المصعد في انتظار دوري للصعود إلى أعلي البرج وإذ بي أجد أحد هؤلاء الأشخاص من أفراد اللهو الخفي يطلب مني أن أتبعه حتى يمررني من هذا الطابور ويضعني في المقدمة..

أستغفر الله العظيم.. يبدو أنني لم أنجو بعد من هذه النظرة السوداء التي خلّفتها عندي ثقافة الذراع، ولا أتصور أننا عندما سنقوم بهذا التحدي، فإننا سنقوم بفرض

المزيد من السيطرة على العاملين ونعمل على تغيير ثقافتهم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وقفت في الطابور ولم يعرض على أحد خدماته المدفوعه لاحقا لأننا أصبحنا أكثر نظاما وأعمق ثقافة.. المهم أنني تمكنت من الصعود إلى قمة البرج لأقف على ارتفاع الكيلومتر شاهدا على حضارتنا الجديدة التي قمنا ببنائها بأيدينا بدلا من التفاخر بحضارة أجدادنا والتي لانعلم حتى الآن سر عظمتهم لأننا انسلخنا عنها ولكن لأن جينات العظمة والهندسة المعمارية والتفوق الحضاري لا زالت تسري فينا فإننا سنستطيع يوما أن نبني نحن حضارتنا التي تثبت تفوقنا كمصريين لا كفراعنة.

وقفت فوق البرج وذهبت إلى مكبرات الصورة المثبته على أطراف السور الخارجي لنتمكن من رؤية القاهرة.. قاهرة المعز، مدينة الآلف مأذنة والنيل والأهرامات والقلعة وجبل المقطم ومبني ماسبيرو ووزارة الخارجية ومجمع التحرير وسيتي ستارز وطبعا مدافن الغفير ومدافن البساتين على ضفة طريق صلاح سالم شريان المرور الرئيس.. ولا أتصور أن أجد هذه المكبرات لا تعمل أو عليها من الغبار ما يعوق الرؤية أو تم تثبيتها على ارتفاع يمنعني من استخدامها إلا إذا وقفت فوق كرسي صغير يقوم أحد العاملين بوضعه كخدمة مدفوعة لاحقا كما هو الحال ببرج القاهرة القديم والذي أصبح مع الوقت بناية صغيرة وسط البنايات العملاقة التي ظهرت حولها.

المهم أنني تمكنت من التغلب على كل هواجسي وتخوفي من سيطرة ثقافة الذراع علينا حتى في اليوم الذي استطعنا فيه إثبات ذاتنا وتمكنت أخيرا من الوصول إلى طرف السور الخارجي للمبني والنظر مباشرة على القاهرة قبل النظر من خلال مكبرات الصورة.. ولكن تخيلوا معي ماذا رأيت؟

لقد تم الحفاظ على القاهرة عن طريق تغليفها بسحابة من الأتربة على إرتفاع قريب

جدا من سطح الأرض وذلك للمحافظة على خصوصية المدينة وحتي لايستطيع أي قمر إصطناعي أن يقوم بتصويرنا بسهولة.. فكرٌ جديد.

كما تم نزع جميع المساحات الخضراء من قلب القاهرة إلا التي يفرضها علينا القانون ومتطلبات الاتحادات الدولية عند بناء ملاعب كرة، كما في إستاد القاهرة وملعب المقاولون واستاد الكلية الحربية وملاعب الأندية مع بعض الحدائق المتناثرة كتلك التي أهدتها لنا مؤسسة الأغا خان.. أما حديقة الحيوان والتي تتمتع بمساحة خضراء شاسعة في قلب محافظة الجيزة وتقوم بعملها كرئة لهذه المدينة المكتظة بالسكان فهي في طريقها للانتقال إلى محافظة السادس من أكتوبر في عملية نقل رئة من محافظة لأخري على أن يتم وضع محافظة الجيزة على جهاز تنفس اصطناعي.

ويبدو أن الغرض الأساسي من نزع كل المساحات الخضراء من قاهرة المعز هو الحفاظ على طابع القاهرة الجديد لكي تصبح مثل مراكش الحمراء وتونس الخضراء، فيصبح لدينا القاهرة الكافيه أوليه بلون التراب، وذلك لأننا جميعا نعلم أن تراب مصر غالي علينا جدا، لذا وجب علينا الحفاظ عليه بل وجعله علامة مميزة لنا نعفّر بها وجوهنا.

أما المنظر الذي لم أستطع نسيانه أو تناسيه فهو كم الأطباق التي تزين أسطح المنازل في لوحة تشكيلية غير إبداعية على الإطلاق بأسطحها التي يعلوها الصدأ والكابلات التي تخرج منها في تصميم ثعباني يمتد من أسطح المنازل ليسير على جدران المنازل في تقاطعات تثبت مدي التلاحم بين السكان وبعضهم البعض.

لقد تم اختزال معاني الجمال عندنا في تصميم مبني متميز لفندق أو برج سكني أو إداري يطل على النيل نهتم فيه بتفاصيل الواجهة والديكورات الداخلية بينما نسينا تماما أن هذه البنايات تطل على باقي القاهرة لتكشف من علٍّ ماهو مستور منها ونحن نسير

في شوارعها.. إننا نقوم بمنتهى الهمة ببناء الأبراج ونبدع في تصميماتها وتشطيباتها لكي تقوم بكشف عوراتنا التي لا نملك معها إلا أن نضع وجوهنا في التراب.. وهو كثير تحتنا وفوقنا والكثير منه علينا.

قبل أن نفكر في بناء برج نناطح به أباطرة الهندسة في العالم فإنه لابد لنا أن نعيد تصميم مدينتنا وإعادة تنسيقها لكي نستطيع أن ننظر إليها من فوق وبدون أن نشعر بالخزى.

لابد لنا من تأهيل هذا الشعب ليس بوضع المزيد من القوانين والنظم ولكن بتفعيل ما هو قائم منها بالفعل.

لابد لنا من التعامل مع هذه الثقافة اللعينة التي أعطتْ كل واحد منا الحق أن يفعل ما يشاء وأن يقوم بتركيب الطبق الذي يتيح له مشاهدة مايريد بغير أن يكترث بما يجبرنا على أن نشاهده وإن كنا لا نريد.

لابد لنا من التفكير والعمل على إيجاد الحلول لإزالة هذه التشوهات المرئية التي لن تمكننا يوما من بناء أبراج عزتنا. لإنه يتوجب علينا أولا أن نعيد تأسيس القاهرة من تحت لنستطيع أن ننظر إليها من فوق بدون أن نشعر بالخزي والكسوف.

كنت في زيارة لمدينة دمشق بسوريا وصحبني صديقي السوري هناك إلى مصيف (بلودان) الجبلي الشهير والذي يتمتع بجو صيفي بديع نحسد عليه أشقاءنا في سوريا. كان المنظر الملفت لهذا المصيف المتميز هو أن كل المنازل هناك لها نفس الطابع المعماري، بحيث أن كل البيوت تنتهى بسقف مائل مثبت عليه طبقة من القرميد باللون البصلي المميز.

سألت صديقي السوري عن كيفية إلزام سكان المنطقة بهذا الطابع المعماري المميز والذي يجعل المنظر من فوق حقا بديعا..

لقد أعطت الحكومة السورية الحق لكل مواطن بأن يرتفع بدور أخير من البناء الخفيف على أن يلتزم بوضع هذا السقف الذي يعطي طابع مميز للمدينة، وهمّ بهذا قد وفروا له طابق إضافي يزيد من دخله أو من مساحة استخدامه للمبني ولكن بطريقة أخرى غير مباشرة تحقق لهم مايريدونه من أن يرسموا المدينة من تحت حتى تصبح جنة للناظرين لها من فوق.

إن الحلول كثيرة.. إذا ما أردنا التغيير..

ولكن المشكلة الحقيقية هي أننا قد استسلمنا لحالنا وقَبلنا أن نقبع في جهة المُستحَليين حرام.. حرام..

لما ولادنا يربُّونا

لمّا ولادنا . . يربونا

عودة إلى الإسكندرية الجميلة والتي لا أشعر بالجمال إلا وأنا أشاهدها، بل إنني أستشعر معاني الجمال عندما أسمع اسم الإسكندرية أثناء حديثي مع الأصدقاء أو إذا ذكر في برنامج إذاعي أو تلفزيوني.

لا أتحدث هنا عن الجمال الذي نشاهده في لوحة فنية أو منظر طبيعي خلاب، ولكنني أتحدث عن جمال المعاملات.. جمال القيم.. جمال الأخلاقيات.. أو في المجمل.. جمال الناس..

أعلم تمام العلم أنكم ترونني منحازا لمدينتي التي تربيت بها وهو ما لا أنكره، بل وأؤكده لكم..

فكلٌّ مِّنا ينحاز بطبيعته البشرية إلى حيث نشأ وترعرع وتعلم مباديء الحياة والمعاملة واحترام الآخرين، ينحاز بطبيعته البشرية إلى الفترة التي كان يعيش فيها سنوات برائته وطفولته.. ينحاز بطبيعته إلى الفترة التي لم يكن يحمل فيها الهموم لأن عائلته كانت كفيلة بحمل همه، وكان كل همه وقتئذ أن يعيش حياته ويستمتع بها في ظل احترامه للأخرين واحترام الآخرين له.

كان أبي ولازال –أطال الله في عمره– مدرسةً خاصةً في تربية الأولاد لها مناهجها الخاصه بها، وكان يقوم هو فيها بدور الناظر والمدير والمدرس والمحاسب.. كانت له فلسفته في التربية والتي كنا ونحن أطفال نرفضها ونجدها سياسة تعسفية لأنه يجبرنا على أن نكون رجالا ونحن لازلنا صغارا.

كان أبي مثل كل أباء عصره وهذا العصر أيضا يقوم بإعطائنا مصروفنا اليومي أثناء

الدراسة والذي كنا نراه دائما لا يكفي متطلباتنا تماما كما يراه أبنائنا الآن وإن كنا ندفع لهم مائة ضعف ما كنا نحصل عليه عندما كنا في نفس أعمارهم مع احتساب فرق العملة ونسبة التضخم وزيادة الأسعار.. وما إلى غير ذلك من مفردات العولمة.

ولكن أبي كانت له سياسة مختلفة إذا ما دخلنا في فصل الصيف والأجازات حيث كان المصروف الذي نأخذه يتم صرفه بالكامل أثناء ذهابنا إلى النادي أو إلى مقابلة أصدقائنا في السينما أو أثناء التمشية على الكورنيش أو في محطة الرمل، لأنه لم يكن متوفرا في هذا الوقت المولات المغطاة المكيفة.. كان أبي يفرض علينا في إجازة الصيف أن نعمل معه في مصنعه إذا ما أردنا الحصول على المصروف بحيث لا نأخذ مصروفا ولكن نأخذ راتبا أسبوعيا كما الرجال.

ولأنني كنت مختلفا قليلا عن إخوتي الذين كان يسعدهم العمل مع أبي والتمتع بخصوصية أصحاب العمل، فإنني وبعد تجربة العمل مع أبي لم أجد نفسي في هذا المجال أو المكان ولكن بطبيعة الأمر لم أكن أستطيع تغيير سياسة أبي. لذا فقد قررت أن أقبل متطلبات واشتراطات الوضع الراهن وذلك بأن أعمل لكي أحصل على الراتب الذي يكفي متطلباتي ولكن في مكان أخر بعيدا عن أبي.

ووافق أبي على طلبي وإن كان قد حذرني من التعب الذي سألاقيه في العمل عند الغير ووضح لي في جلسة أبوية أنه يوافق على عملي عند الغير ليس لإنني في احتياج مادي، ولكن لأنني في احتياج تربوي.. وقَبلتُ التحدّي.

وذهبت للعمل في مطعم شهير على كورنيش الإسكندرية وأنا في سن العاشرة.. وكم كانت التجربة مشوقة ومثيرة ومؤثرة.. بل إنها كانت تجربة مليئة بالمعاني التي أكافح الآن لأغرسها في أولادي.

لقد أرست هذه التجربة بداخلي في وقتها معان لم أفهمها إلا الآن.

معاني الرجولة..

معاني المسئولية..

معاني الاجتهاد..

معاني الاعتماد على الذات..

معاني احترام الآخرين..

معاني كثيرة غرسها أبي بداخلي عندما كان يصر على أن أتحمل المسئولية وأنا لازلت ابن العاشرة وأن أعمل بجد لكي أكسب ما أقضي به احتياجاتي وأن تكون متطلباتي وفق قدراتي المالية وما أجنيه من أموال، لا وفق قدرات أبي وما أستطيع أن آخذه منه بطريقة أو بأخرى.

أشكرك يا أبي على كل ما فعلته من أجلي وإن كان درسك الأول لي في حياتي –بأن دَفَعتَني لأن أكتشف نفسي وقدراتي– كافيا لأن أظل أشكر لك طول عمري حتى وإن اختلفت معك في الكثير، ولكن القليل الذي أعطيتني إياه هو كثير.. كثير.. كثير.

لقد علّمني أبي بقصد أو بدون قصد أنني لا أستطيع أبدا أن أطلب إلا ما أستطيع تدبر ثمنه، وأن الأموال التي أجنيها لاأستطيع صرفها كلها في شراء شيء واحد أريده ولكن يجب عليَّ أن أتدبر أمري لأستطيع شراء أشياء كثيرة قد أحتاجها في أوقات لن يكون معي ثمنها.. لقد كان الدرس الأول قويا وفعالا، عندما علّمني أبي أن أفرق بين احتياجاتي ومتطلباتي وأن لا أنساق وراء متطلباتي اللحظية عندما أملك ثمنها لأستطيع توفير احتياجاتي عندما لا يتوفر لدي تكلفتها.

في يوم من الأيام جائني موظف يعمل معي في الشركة وبدأ في بث شكواه من المواصلات والمشوار البعيد واضطراره لانتظار الميكروباص إلى ما يزيد عن النصف ساعة غير المدة التي يقضيها الميكروباص في تنزيل الركاب وتحميل غيرهم.. وانتهى موظفنا العزيز أنه يحتاج لشراء سيارة صغيرة حتى يتمكن من الالتزام بمواعيده، ويَرحم نفسه وأهله من عذاب المواصلات، وأنه قد استطاع بكثير من التدبير توفير مبلغا من المال يمكنه من دفع مقدم للسيارة ويطلب بعض المساعدة المالية والفنية في إنهاء هذا الآمر الذي ينغص عليه حياته.

وقد تفاعلت جدا مع هذا الشاب المكافح الذي يعمل جاهدا على التعامل مع ظروفه بكثير من الحكمة.. طبعا هُراء.

عرضت على هذا الشاب المكافح أن أقوم باستكمال المبلغ المطلوب لشراء سيارة صغيرة مستعملة وذلك بأن أدفع مبلغا مساوٍ لما يملكه وهذا المبلغ مجتمعا سيكفي لشراء هذه السيارة، والتي يستطيع أن يتعلم فيها قيادة السيارات وذلك حتى يستطيع أن يتدبر مبلغا أخر؛ وحينئذ سيتمكن من شراء سيارة أخرى حديثة.. وهكذا دواليك.

ولكن المفاجأة ككثير من المفاجأت التي قابلتني وقابلتكم في هذا الكتاب هو أنه طلب أن يأخذ المبلغ الذي سيتم تجميعه ليدفعه كمقدم سيارة بضمان الشركة على أن يقوم بسداد الأقساط الشهرية لمدة خمسة أعوام.. تصوروا أنه لكي يحقق متطلباته من أن يكون له سيارة حديثة موديل السنة مثل فلان وعلان فإنه قد قرر أن يضع احتياجاته المستقبلية هو وعائلته وأولاده ومدارسهم وعلاجهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم تحت رحمة انسياقه لتحقيق هذا الطلب.. إن كل مايحتاجه الآن هو سيارة صغيره ترحمه هو وعائلته من المواصلات وشرها، كما أنه لا يملك حتى المال الكافي لشراء هذه السيارة وقد جاء ليستلف باقي قيمة هذه السيارة ولكن بقدرة قادر تولدت لديه الفكرة الذراعية الغريبة في وضع المبلغ الذي تسلفه حالا كمقدم لسيارة لا يحتاجها بل يتمناها ويضع على عاتقه أقساطا شهرية بجانب المبلغ الذي تسلفه.

دعوني أزيدكم من الشعر بيت..

عندما واجهته بموقفه الغريب هذا وأن فكرته لاتروق لي وأنه يجب عليه أن يفكر بعقله في التزاماته الحاليه وماينتظره من التزامات مستقبلية لا يتوقعها، كان رده الأغرب.. خليها على الله يا باشمهندس.

وهل كان هناك شيء قبل ذلك أو بعد ذلك على أحد آخر غير الله؟!.

إنها نفس الثقافة اللعينة التي تشكل حياتنا الآن وتجعلنا نلهث وراء متطلباتنا بغض النظر عن إمكاناتنا وننسي مع الوقت أن تأمين احتياجاتنا التي تلزمنا أهم بكثير من توفير

متطلباتنا التي نتمناها.

هل أساء أباء هذا الزمن تربية أولادهم للدرجة التي جعلتهم لايستطيعون ترتيب أولوياتهم وتجرفهم إغراءات المتطلبات وتقليد الآخرين والتحول من الطموح المشروع إلى الطمع غير المشروع ليضعوا أنفسهم قبل الجميع ولا يستطيعون انتظار أحدا بل ويتوقعون أنهم لهم الحق في المرور من الجميع في سبيل تحقيق احتياجاتهم

عندما أذهب إلى الساحل الشمالي في الصيف وأري الأولاد الصغار والشباب الذين هم أمل هذه البلد وهم يجلسون في المقاهي ليدخنوا الشيشة –والتي يصل سعرها إلى أزيد من عشرين جنيه– وهم يتسامرون حتى ساعات الصباح الأولى وعند الحساب يقوم كل واحد منهم بدفع ما لا يقل عن خمسين جنيه، أتذكر عندما كنت في مثل سنهم وأنا أذهب إلى العمل منذ الصباح وحتي منتصف الليل وأنا لا أشعر بالتعب بل أشعر بالفخر لأنني استطعت أن أتغلب على متطلباتي وأن أضع أولوياتي فوق شهواتي وأن أقضي وقتي في شيء يفيدني ويجعل مني رجلا.

كنت جالسا في إحدى الكافتيريات الصيفية المنتشرة في منطقة الساحل الشمالي وبجانبي تجلس عائلة كبيرة تضحك وتتسامر بصوت مسموع لنا كلنا، وأعتقد أن صوتهم لم يكن يضايقنا مثل أنه لم يكن يضايقهم نظرا للقصص الظريفة التي كانوا يحكونها فيما بينهم والتعليقات التي تصاحبها، والتي لم تكن تخلو من بعض الإسقاطات الظريفة.

ونحن جالسون مستمتعون بالجوار، إذا بشاب جامعي يدخل علينا ببنطاله الذي يكشف ملابسه الداخلية ويتجه إلى الرجل الوقور الذي يجلس في منتصف الطاولة وهو يلقي فقط بالتعليقات على ما يقال وبشكل جدي ساخر.. وقف الشاب بجوار الرجل الوقور وبدأ في الحديث بصوت مسموع لنا كلنا:

الشاب: هاي داد

الأب: هاي ياسيدي

الشاب: أنا رايح مارينا حأقابل أصحابي هناك

الأب: طيب ياسيدي

الشاب: كنت عايز مفتاح عربيتك علشان فيه خمسة من أصحابي جايين معايا

الأب: ليه بقي ياسيدي.. أومال فين عربيتك

الشاب: ماهي موش ممكن حتقضينا كلنا وبعدين مانت عارف إن النور اللي قدام فيه مشكلة

الأب: وماصلحتهوش ليه بس يابني

الشاب: ماهو صالح السواق ماكانش فاضي النهاردة

الأب: طب ومارحتش ليه صلحته بالنهار ده موش حياخد منك ربع ساعة

الشاب: واط أر يو ساينج داد (بتقول أيه ياوالدي)

الشاب: أروح فين وبعدين أنا ماعرفش بيتصلح إزاي ده

الأب: ياسلام.. تروح عند الكهربائي وتخليه يغير لمبات الفوانيس اللي قدام.. مشكلة كبيرة دي

الأم: خلاص بقي يا بابي.. إديله العربية وبكرة لما ييجي صالح يبقي يروح يصلحها.

الأب: إتفضل.. شباب أخر زمن

الشاب: طب إيدك بقي على تلتميت جنيه

الأب: ليه هوه إنت عازمهم والا أيه

الشاب: داد.. إحنا رايحين الحفلة وبعدين حنطلع نقعد في أي كافيه

الأب: إتفضل ياسيدي بس ماتنساش تحط بنزين وألا عايز صالح كمان يحطلك بنزين

الشاب: لا موش للدرجة دي.. أي كان دويت (أنا أقدر أعملها) بس أيدك بقي

على ميتين جنيه كمان علشان البنزين

الأب: إتفضل.. وماتتأخرش

الشاب: حاخلص وأرجع على طول على أربعة.. أربعة ونص، سي يو جايز (أشوفكم بقي ياجماعة)

الأم: تيك كير ياحبيبي (خد بالك ياحبيبي)

هل يمكن أن يقع كل هذا الاختلاف بين طبائعنا التي تربينا عليها وبين ما فرضته علينا ثقافتنا الجديدة؟

إنني على أتم القناعة أن هذا الأب وكل الأباء من جيلنا والأجيال السابقة لن يختلف أسلوب تربيتهم عن ما تربينا كلنا عليه وأن أبي هو نفس الأب لكل جيلنا، لأن ثقافتنا وقتها كانت متماثلة وطرق التربية التي كانت متبعة وقتها كانت مبنية على احترام الذات والاعتماد على النفس وكان كل أب يفخر بأبنه الذي يستطيع أن يقوم بأعماله بنفسه ويعتمد على نفسه في أداء فروضه المنزلية وبدون الاحتياج إلى دروس خصوصية.

كان أبي يفاخر أصدقاؤه بأنني أتممت دراستي بدون أن أخذ درسا خصوصيا واحدا، وكنت أفاخر أصدقائي بأن أول سيارة اشتريتها في حياتي كانت وفق المبدأ الذي وضعه أبي بالاعتماد على الذات، وذلك بأنني قد وفرت نصف ثمنها من عملي ومكافأة منه قام هو باستكمال النصف الثاني.

لقد قام أبي بتربيتي على الاعتماد على النفس وأن الرجولة هي أن أقوم بعمل كل ما أستطيع عمله بنفسي لا أن أتكل على أحد حتى ولو كان السائق الذي يعمل لدينا أو الموظف الذي يعمل بشركة أبي.. لهذا كنت أستشعر معاني الرجولة في كل تصرف أقوم به وكنت أشعر بالمسئولية تجاه الآخرين قبل نفسي..

لقد استطاع أبائنا أن يربونا وأن يزرعوا فينا معاني كثيرة صنعت منا رجالا يُعتمد عليهم وهم لازالوا صغارا وتم تطعيمنا بلقاح ضد الثقافات الهدامة.. ولكن يبدو أن هذا

اللقاح كان يجب أن يؤخذ على فترات متعاقبة على مر السنين حتى يستطيع التأثير على فيروس ثقافة الذراع التي انتشرت بيننا، ولهذا نجد بعضنا وقد تحصن بلقاح التربية السوية والبعض الأخر وهم كثير قد ضعفت مقاومتهم وتحول اللقاح من مصل مضاد للفيروس إلى ذّريعة صغيرة بدأ منها المرض.

إن الفارق بين اليوم والأمس أنه بالأمس كان أباؤنا هم من يقومون بتربيتنا وفق قواعدهم ومناهجهم وفلسفتهم، أما اليوم فإن أولادنا هم الذين يربونا وفق متطلباتهم وقدرتهم على أخذ مايريدونه منا بالدلع تارة وبالمحايلة تارة أخرى وفي كثير من الأحيان بخضوعنا واستسلامنا للثقافة الجديدة التي تمكنت منا وحتى لانصبح أباء مودرن ولأن الدنيا كلها ماشية كده. ولا أيه؟ يا.. داد!

هل تم اختصار التربية الآن في أن يتكلم أولادنا لغة أجنبية بطلاقة؟

هل أصبحت دلالات التربية الآن هي فيما يلبسه أولادنا وفي النوادي التي يرتادونها وفي كم المصروف الذي يأخذونه؟

هل التربية الحقة هي في العطاء بدون حد أم في المنع المشروط؟

قبل أن نعوّد أولادنا سياقة السيارات؛ علينا أولا أن نعودهم على احترام المرور والطريق وحق الآخرين، بل أنه علينا أيضا أن نعلمهم أن يعمّلوا ويكسبوا رزقهم ويوفروا منه لشراء السيارة التي يستطيعون شرائها لا التي نوفرها نحن لهم.

قبل أن نعود أولادنا على طلب مايريدونه، يجب علينا أن نعلمهم متي يمكنهم الطلب وكيف يمكنهم تحقيقه بأنفسهم، لا عن طريق طلبهم فقط لما يريدونه بل عن طريق العمل بأنفسهم على تحقيقه.

قبل أن نطلب منهم أن يكونوا رجالا، يجب علينا أن نعلمهم أولا.. كيف يمكن أن يكونوا بحق.. رجالا.

المتاح والمطلوب

المتاح والمطلوب

المتاح. . والمطلوب

إن من أشد دلائل ثقافة الذراع في مصرنا العزيزة هي الحجة الأبدية التي ينتهجها كل أصحاب المسئولية عندما نبدأ في رفع الشكوي من مستوى الخدمة التي يقدمونها لنا، أو عندما نبدأ في مطالبتهم بالوفاء بوعودهم البراقة التي قطوعها على أنفسهم قبل تولي المسئولية والتي كانت أحد الأسباب الأساسية لتوليهم هذه المسئولية. وعادة ماتكون الحجة التي نسمعها منهم وهم على قناعة تامة أنها سبب كافي لرد الوعود وإخلاء طرفهم هي أن هذا هو المتاح وأنه –أي المسئول– لن يأتي بأدوات مساعدة من بيته لأداء ماهو مطلوب منه حسب اشتراطات تولي المسئولية التي قبلها يوما ما.

هذا هو المتاح..

هذه هي كلمة السر التي يستعملها الكثير من أصحاب المسئولية لإرغامنا بالذراع على قبول إخفاقهم أو قبول عدم تنفيذ وعودهم أو قبول عدم تحقيق مسئولياتهم.

وهل كنا لا نعلم أن هذا هو المتاح يوم ولّيناكُم مسئوليتنا؟

وهل لو كان متاح أكثر من ذلك، كنا سنحتاج لمسئول مهم متميز مثل هذا المسئول؟

وهل لو كان المتاح أكثر، كنا سندفع لكم ماندفعه لكي تحققوا لنا طلباتنا في ظل ضيق المتاح؟

لماذا يتحتم علينا أن نقبل هذا المبدأ الذراعي الذي يلوي عقولنا قبل أذرعتنا عندما يكون سبب الإخفاق أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان وأن كل منا يعمل وفق المتاح، ولا يتقبل الأخرون أن يعملوا لتحقيق المطلوب منهم حتى في ظل الأمكانيات المتاحة وإن ضاقت.

إنني على يقين من أنه عندما يقوم عميل ما بتعييني كمدير لمشروعه فإنه يتوقع مني أن أقوم بتحقيق المطلوب من أعلي جودة ممكنة في الوقت المحدد سلفا للمشروع، ووفق الميزانية المحددة لهذا المشروع.. وأنه لن يقبل مني أن أتعذّر بعد قبولي لهذه المسئولية بضيق الأمكانيات المتاحة لي وأن طاقم العمل بيروقراطي وأن سياسة الدولة لاتساعدني.. إلى أخره.

إنني عندما قبلت المسئولية فقد أعلنت ضمنيا موافقتي على تحقيق المطلوب حتى في ظل كل أسباب الفشل السابق ذكرها والتي هي معلومة بل ومسجلة لكل المشروعات السابقة. لذا فإنني سأكون مطالبا بالعمل على إيجاد الحلول التي تساعد على التغلب على كل هذه الأسباب والبحث عن الطرق التي تمكنني من تجاوز هذه العقبات سواء بلبتكار طرق حل جديدة أو بمحاكاة ما وصل إليه الآخرون في مسيرتهم. المهم أن أؤدي ماهو مطلوب مني وليس العمل وفق المتاح لدي.

إنني هنا لا أتحدث عن فكر بقدر ما أتحدث عن ذريعة جاهزة لدعم وتثبيت ثقافة

الذراع في مجتمعنا بحيث يستطيع أي أحد أن يستخدمها إذا ماضيقنا حوله الخناق وحاولنا إثناءه عن تذرعه علينا.

إذا ماتحدثت إلى الشحات وسألته لماذا لايعمل كان رده بمنتهي البساطه.. فين بس يابيه، وهوه كان فيه شغل وماشتغلتش؟، أي أنه بمنتهى القوة يفرض علينا نفسه كشحات لأن هذه المهنة هي المتاحه فقط.

إذا تحدثت إلى المدرس وسألته لماذا يبدع عندما يعطي درس خصوصي بينما يكون العمل المدرسي مجرد حضور وانصراف ويكون رده الجاهز.. "إزاي بس والفصل فيه خمسين تلميذ.. حاشرح لمين ولا مين بس؟".

إذا ماتحدثت إلى عضو مجلس شعب من المعارضة وسألته لماذا لا يستطيع الوقوف أمام القوانين التي لايراها مناسبة أو تخدم المصلحة العامة ويكون رده بطبيعة الحال.. إزاي بس والحزب الوطني مسيطر على المجلس.

كلها أسباب تنبع من نفس المبدأ الذراعي الذي يجب علينا قبوله، بل إننا فعلا نقبله ويذهب البعض منا –وهم كثير– إلى الاقتناع بهذه المبررات والدفاع عنها بل وتسويقها للغير على أنها من المسلمات البديهية التي يجب علينا أن نتقبّلها ونتعايش معها تماما كثقافة الذراع التي تجبرنا على الاستسلام لما نرفضه.

هل عندما لايجد الشحاتُ السويُّ القويُّ وظيفةً يسترزق منها، فيصبح هذا سببا وجيها لأن يمتهن الشحاتة؟

هل عندما تمتليء فصولنا بالتلاميذ، يصبح هذا سببلا وجيهلا للمدرس لكي يبيع ضميره مقابل درس خصوصي؟

هل لأن الحزب الوطني يسيطر على مجلس الشعب، لا يستطيع نواب المعارضة أخذ موقفا مما يعتقدون ويصدقون أنه ضد مبادئهم الانتخابية ومصلحة ناخبيهم؟

هل المطلوب هو العمل بالمتاح أم أننا بالمتاح يجب أن نَعمل المطلوب؟

هل كان المتاح لدولة مثل اليابان من الموارد الطبيعية المحدودة جدا يمكنها من تحقيق المطلوب لتكون رائدة التقدم التكنولوجي في العالم وتصبح من القوي الاقتصادية العظمي؟

هل عندما تولي مهاتير محمد الحكم في دولة مثل ماليزيا كانت الإمكانيات المتاحة تمكنه من تحقيق المطلوب منه لتصبح دولته مستقلة اقتصاديا، وأن تأخذ مكانتها وسط النمور الأسيوية المتعملقة؟

منذ حوالي سبع سنوات كانت أمكانيات البرازيل الاقتصادية في أسوأ مستوى متدن يتخيله أي منا للدرجة التي أرغمت الحكومة على إعلان إفلاسها لعدم قدرتها على سداد دينها الخارجي والداخلي على السواء.

لكن هذا لم يمنع القائمين عليها من عمل المطلوب منهم وتحقيق المعادلة الصعبة في ظل انعدام الإمكانيات المتاحة –ولا أقول قلتها– لتصبح البرازيل الآن من الدول الواعدة الجاذبة للاستثمار والتي يحقق اقتصادها مؤشرات نموذجية في أقل من سبع سنوات.

صدقوني.. الأمر ليس بحجم المتاح ولكنه بالإصرار على عمل المطلوب وإن كان صعبا.

عندما يصرح وزير الصحة عن إلغاء العلاج على نفقة الدولة وتحويل ميزانيته للمستشفيات الحكومية.. فإنني أجد هذا التصريح من نوع العمل بالمتاح وليس عمل المطلوب.

في كل دول العالم المتقدم وبعض الدول التي تقبع معنا في نفس المستوي التقدمي مثل دول الخليج يتم تطبيق نظام تأمين صحي يضمن لمواطنيها بل والمقيمين فيها أيضا تغطية علاجية متميزة تكفل احتياجاته الطبية سواء عند ذهابه للطبيب للكشف أو لإجراء عملية جراحية أو حتى لصرف الدواء.

ويتميز هذا النظام بمشاركة القطاع الخاص مشاركة إيجابية في تحمل مسئوليته بمعرفة الدولة وبالتنسيق معها

حيث تقوم الدولة بالإشراف على النظام المطبق لضمان عدم التلاعب كما تقوم بوضع الآليات التي تجبر رجال الأعمال على الإشتراك في هذا النظام والتأمين على العاملين لديها صحيا ضمن مفردات راتبهم وذلك حتى تستطيع ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد:

أولا: تقليل المسئولية التنفيذية على الدولة من تقديم خدمة التأمين الصحي للقادرين وهم رجال الأعمال الذين يستطيعون تأمين موظفيهم بجزء من أرباحهم التي تؤمنها لهم الدولة.

ثانيا: تقليل العبء على مستشفيات الدولة حتى تستطيع تقديم خدمة متميزة للمحتاجين من الطبقة الدنيا من الشعب.

ثالثا: توفير فرص عمل كريمة وبأسعار جيدة للأطباء في ظل تشجيع شركات التأمين

الصحي الخاصة على العمل.

رابعا: زيادة كفاءة الخدمات المقدمة وتطوير مراكز الخدمة وذلك بتقليل عدد المستفيدين من خدمة التأمين الصحي الحكومية بعد إلزام القطاع الخاص بتولي مهمته.

إنني أعتقد أن قرار وزير الصحة هو من قبيل التفاعل مع مبدأ أن هذا هو المتاح، وهو ما أرفضه لأن الوزير الذي يتم تعيينه في موقعه يكون مسئولا عن إيجاد الحلول وليس تحويل مسار المشكلة من التغطية التأمينية إلى العلاج على نفقة الدولة إلى ضخ الأموال في المستشفيات الحكومية.. فهل تستطيع المستشفيات الحكومية بحالتها الراهنة تناول هذا العبء؟

لماذا لايقوم الوزير بوضع خطة مع وزارة الاستثمار ومكتب العمل ووزارة التضامن الاجتماعي لكي يتم وضع قانون يلزم شركات القطاع الخاص بعمل برنامج تأمين صحي لكل العاملين بها وأهليهم على أن يتم تخفيض نسبة التأمينات الاجتماعية التي تدفعها الشركة مقابل إثبات الدخول في هذا البرنامج؟

إن مثل هذا القانون سيشجع بالتأكيد شركات التأمين الصحي الخاصة على تقديم خدماتها والتباري في تحسينها بالطبع لصالح المواطن المصري وهو ما سيقلل شريحة المستفيدين ببرنامج التأمين الصحي الحكومي ويجعله قاصرا فقط على الطبقة الدنيا والموظفين الحكوميين.

ثم تأتي الخطوة الثانية بالتنسيق مع شركات التأمين الصحي الخاصة بعد أن تثبت أقدامها ويصبح لديها ثقة في تشجيع الحكومة لها من خلال وضع الآليات التي تدعم وجودها، ومن ثم تستطيع الحكومة أن تطلب منها وضع برامج لتغطية موظفي الحكومة كمرحلة ثانية.

ثم تأتي المرحلة الثالثة والتي ستعمل للارتقاء بالخدمات الطبية الحكومية عندما يصبح عدد المستفيدين بها أقل فعليا.

قد يكون هذا الاقتراح هو مجرد اقتراح خيالي لا يمكن تنفيذه ولكنه سيظل أيضا خطة عمل في اتجاه المطلوب حتى في ظل ضيق الإمكانيات المتاحة.. سيظل اقتراحا برفض تطبيق ثقافة الذراع علينا وإعلانا برفضنا لأن نستسلم لما يفرضه علينا الآخرون وإقرارا أن عقولنا لا زالت تعمل لخدمة هذا الوطن.

لسة بدّرى أوى
الشغل
يابنى القانون بيسمح لنا نتأخر ربع ساعة للطوارئ، ... أدى إحنا فى الطوارئ
يللا يابو حميد ... الساعة بقيت تسعة وعشرة أهو .

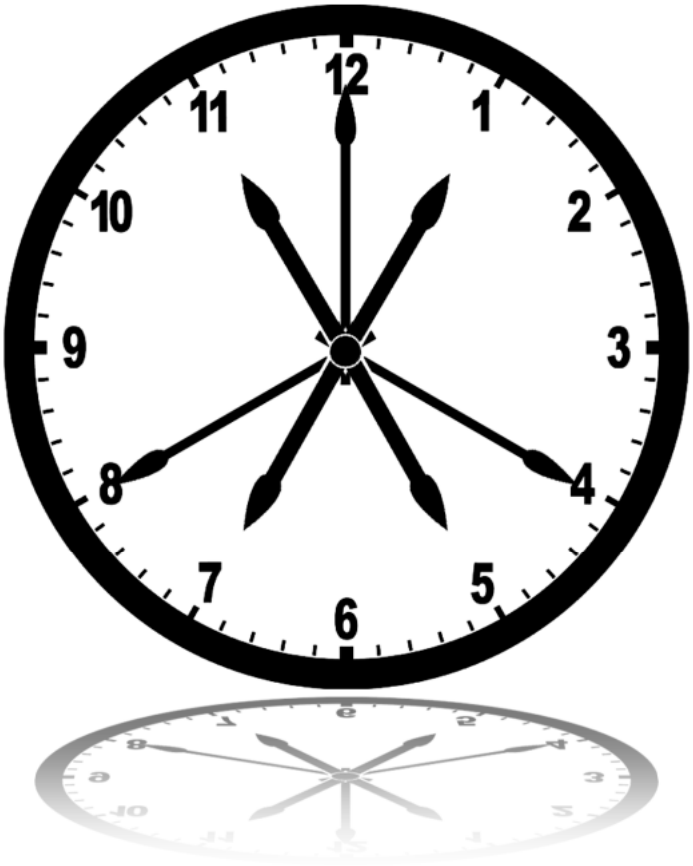
12
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11

لسه بدري . . قوي

عندما نتواعد على اللقاء يكون الفيصل في الميعاد هو الوقت الذي سنتقابل فيه والذي يتم تحديده بناء على المسافة التي سنقطعها للوصول إلى مكان اللقاء وجدول مواعيد كل منا والذي يحكمه أيضا الوقت.. وبمجرد تحديد ميعاد اللقاء فإن هذا يعني ضمنيا موافقتنا على الإلتزام بالوقت المحدد بغض النظر عن ظروفنا الشخصية أو التزاماتنا الأخرى.

إذا فإن الوقت هو المعيار الأساسي لبيان مدى إلتزامنا ومدى مصداقيتنا في التعامل بل إنني أذهب إلى مدي أبعد لأرى أن الوقت هو المعيار الحقيقي لبيان مقدار احترامنا لأنفسنا وللغير.

لهذا نجد أن دول العالم المتحضر أو كما سميناهم سابقا –في أوروبا والدول المتقدمة– يبدون أشد الاحترام للوقت ونجد الواحد منهم يحرص جديا على أن يأتي قبل ميعاده بخمس دقائق ليثبت للطرف الآخر مدي التزامه واحترامه له وحرصه على هذا الميعاد وما سيجنيه من وراءه حتى ولو كان الميعاد لقضاء بعض الوقت في المقهي. إن الإنسان الملتزم يظل ملتزما بغض النظر عن طبيعة الميعاد الذي سيذهب إليه أو أهمية الشخص الذي سيلاقيه.

أتذكر في وقت ما من حياتي كنت أعمل مع شركة تويوتا حيث كنت أتعامل من فترة لأخري مع بعض اليابانين الذين نعلم عنهم شدة احترامهم للعمل وللمواعيد وللأخرين. كانت دعوة الاجتماع التي تصلني منهم محددة بالشكل الذي يتنافي معه الجهل أو سوء الإدارة أو عدم الالتزام إلا في الحالات التي تندرج تحت مسمي الظروف القاهرة.

كانت الدعوة تأتيني للاجتماع في يوم السبت الموافق كذا من الشهر الفلاني في تلكم العام متضمنة أجندة تفصيلية لكافة الموضوعات التي سيتم مناقشتها بالاجتماع ومن هم الحضور ومسئولية القرارات التي ستتخذ في الاجتماع الذي سيبدأ في الساعة الثامنة وثلاث دقائق ويستمر لمدة ثلاث وأربعين دقيقة لنتحرك في الساعة الثامنة وست وأربعين دقيقة لزيارة موقع العمل والوصول في الساعة التاسعة وخمسة وثلاثين دقيقة.. وهكذا دواليك.

طبعا سأجد الكثير منكم وهو يقول: موش للدرجة دي يعني، خليها تمانية وبلاش الحنبلية دي.. تمانية وتلات دقايق!!..

ولكن العبرة هنا ليست بالحنبلية ولكن بالمنهجية، فقد حسبها صديقنا الياباني حيث أنه من المفترض أننا نأتي جميعا للمكتب في تمام الثامنة ونحتاج فقط لثلاث دقائق للوصول إلى غرفة الاجتماعات. إذا فهي الثامنة وثلاث دقائق.

هكذا يحسبونها في أوروبا والدول المتقدمة.. بالمنهجية، وهكذا نراها نحن في مصرنا والدول المتبرطمة.. حنبلية.

في أثناء عملي مع إحدى أكبر الشركات العاملة في السوق المصري والتي تحتل مركز الصدارة في مجالها، استيقظت صباح يوم على مكالمة تليفونية صباحية مبكرة من مديرة

مكتب رئيس مجلس الإدارة تخبرني أنه قد تقرر عقد اجتماع اليوم لدراسة المشروعات التي تحت إدارتي وأنني يجب أن أحضر الساعة العاشرة للمشاركة في الاجتماع. وعندما سألتها عن الموضوعات التي سنناقشها في الاجتماع كان ردها بليغا وقاطعا وحكيما لأقصي مدي:

هات معاك كل ملفاتك وخليك جاهز .

هكذا إذا الأمر، أن نكون جاهزين لكافة الاحتمالات ومدججين بالملفات والمستندات اللازمة لبحث أي موضوع يطلب منا خلال الاجتماع في أي وقت ومن أي شخص وبأي شكل.

وحضرت قبل ميعاد الاجتماع بحوالي عشر دقائق حسبما تعودت وتربيت على يد هؤلاء القادمين إلينا من أوروبا والدول المتقدمة، ولكنني فوجئت بتأخير ميعاد انضمامي للاجتماع لمدة نصف ساعة والتي وصلت إلى خمسين دقيقة. المهم أنني انضممت للاجتماع وأنا لاأعلم ما هو مطلوب مني وما هي المواضيع التي سنناقشها وما هي طبيعة القرارات التي سيتم إتخاذها في هذا الاجتماع الهام الذي تم تحديده صبيحة يوم الاجتماع.

بدأ الاجتماع بكلمة افتتاحية من السيد رئيس مجلس الإدارة تناول فيها توجهات الشركة وأهمية المشروعات القائمة والمستقبلية في تحديد مكانة الشركة في السوق وتأثيرها على الخطة الاستثمارية للشركة. ثم قام السيد العضو المنتدب للشركة بإلقاء كلمة تفصيلية عن طبيعة المشروعات القائمة بالشركة وأهميتها وخططها وأولوياتها – وكأن الحاضرين هنا لايعلمون كل هذه المعلومات– ولكن واضح أنهم كانوا ينتهجون مبدأ أن في الإعادة إفادة.

المهم أنه بعد الكلمة الأولى والثانية دخل علينا وقت صلاة الظهر فقمنا للصلاة وعندما عدنا تم تقديم بعض الساندويتشات للحاضرين مع القهوة والشاي حتى يستطيعون مواصلة اجتماعهم التنفيذي الهام. ثم بدأ الاجتماع بطرح المشروعات التي سيتم تناولها في الاجتماع وتحديد نقاط العرض لكل مشروع وبدأ كل من الحضور بتناول النقطة التي تخصه حتى دخل علينا وقت صلاة العصر حيث قمنا للصلاة وعندما عدنا كان هناك بعض المأكولات للغداء ليبدأ الاجتماع بعد ذلك حوالي الساعة الرابعة والنصف وأنا لازلت أنتظر لأعرف ماذا يريدون مني بالضبط.. !!

في حوالي الساعة الخامسة والنصف تم سؤالي عن موقف المشروعات القائمة، وعليه قمت بعرض توضيحي للمشروعات من حيث الجدول الزمني والميزانية التقديرية والموقف التنفيذي وهو مالم يأخذ نصف ساعة متضمنة توصيل الكمبيوتر بشاشة العرض والمداخلات من الحضور.

تصوروا أنني قضيت اليوم كله ويزيد في اجتماع لم أشارك فيه بأكثر من نصف ساعة ولكنني لاأنكر أنني قد إستمتعت بالإفطار والغداء والمشروبات اللذيذة التي لاتتوفر إلا في مكتب رئيس مجلس الإدارة.

هل هكذا ندير اجتماعتنا؟

هل هكذا ندير أوقاتنا؟

لقد أُجبِرت على هذا الاجتماع ولم تتاح لي حتى الفرصة للقبول أو الرفض، بل إنني أستطيع القول بإنهم قد إستحلوا وقتي عندما أرغموني على الدخول في منظومتهم والإنخراط في جدولهم الذي لا يعنيني على الإطلاق.

وإذا كان هذا هو الحال مع القيادات التي تسير بها الشركات، فماهو الحال مع الموظفين الصغار الذين يعملون بهذه الشركات وكيف سنتمكن من أن نطلب منهم الإلتزام بالمواعيد والمهام الوظيفية وبأن يكونوا مؤثرين وفعالين.

وطبعا سيقول الكثير منكم أنه من الظلم تعميم هذا الموقف لإننا لسنا كلنا هذا الرجل، وهو ماأتفق معكم عليه وإن كنت أري أن مثل هذا الموقف في شركة من كبريات الشركات والتي يقودها أكبر رجالات الصناعة والاستثمار في البلد هو خير دليل على كيفية إدارة الأعمال في مصر الآن.. مع قبولي عدم التعميم.

لهذا سأذهب إلى مستوى وظيفي أقل وسأقصد هنا التعميم حيث يظل الموظف المصري بثقافته الذراعية المتمكنه منا جميعا هو خير دليل على أن الوقت قد قتل في مصر وليس له دية.

إن الموظف المصري يتمتع بصفة لازمته خلال العقود الثلاثة الماضية ولازالت مع الأسف ملتصقه به بالرغم من الجهود المضنية التي يبذلها كل منا لإبعاد هذه الشبهة عنه ولكنه ويالللعجب كلما أراد أن يثبت للأخرين أنه ليس من منتهجي الفهلوة فإنه يقوم بتنفيذ كل آليات وأساليب الفهلوة ليثبت للأخرين أنه ليس فهلوي، تماما كالطبيب الذي يقسم لك أنه لايمتهن مهنة الطب وهو يرتدي البالطو الأبيض ويعلق على رقبته السماعة ويشعر بأشد حالات الغضب لإنك لاتصدق قسمه.

إن الفهلوة المصرية هي الشعار الذي يرفعه العامل المصري بمنتهي العفوية وبدون بذل مجهود في وجه أصحاب العمل والذي يمكنه من مواجهة متطلبات أصحاب العمل الظالمة عندما يطلبون منه الإلتزام بمواعيد للعمل أو بمهام وظيفية محددة أو عندما يشعر أنه يريد أن يثبت تفوقه على زميل له فيقوم بعرض خدمات غير مطلوبه منه بل ولاتدخل في نطاق عمله بل والأدهي أنه قد لايكون قد أداها من قبل ولكنه سيستطيع عملها –

إن شاء الله – لإن هنا أبيض وبتاع ربنا "والإشارة هنا تدل على موضع قلبه بالطبع".

كنتيجة مباشرة لعملي مع هولاء القادمين إلينا من أوروبا والدول المتقدمة، فقد تعودت على إجراء صيانة دورية لسيارتي حسب كتيب الصيانة التي تقوم الشركة بطباعته وتوزيعه مجانا مع السيارة كدليل للمستخدم والذي يحدد متطلبات الصيانة للسيارة عند عدد معين من الكيلومترات وذلك لضمان أفضل استخدام ومعدلات تشغيل لها مع أقل نسبة ممكنة من المشاكل اليومية التي يتم السيطرة عليها عند تنفيذ برامج الصيانة المعدة من قبل المُصّنِع والذي هو الأقدر على فهم وتحديد احتياجات السيارة التي قام بتصنيعها.

وفي يوم كنت قد أرسلت السائق إلى مركز الخدمة لعمل الصيانة الدورية للسيارة وعند عودته إذ به يفاجأني بعرض فهلوي لم أطلبه منه ولكنه تبرع به كنوع من إثبات ولاؤه لي وخوفه على مالياتي، وذلك عندما أخبرني أن المهندس الذي يعمل بمركز الخدمة طلع معرفه وأنه قد أخبره أن ما أدفعه مقابل هذه الصيانه كثير جدا وأنه يمكنه أن يقوم بكل إجراءات هذه الصيانه في ورشته الخاصه مقابل أقل من نصف الأتعاب وأنه قد قام بتبديل تيل الفرامل عنده في ورشته والتي كانت ستتكلف حوالي تسعمائة جنيه في مركز الخدمة ولكنه قام بتغييرها لنا مقابل فقط أربعمائة جنيه مصري لاغير كنوع من أنواع إثبات الخدمة والسعر المتميز لها –وجر القدم بالتبعية.

وأخبرت سائقي أنني لست في موضع توفير عندما يتعلق الأمر بسلامتي وسلامة أولادي وأن ماسأقوم بتوفيره الآن مع هذا الفهلوي سأدفعه أضعافا في المستقبل القريب لإنني لا أضمن هذا العمل وقطع الغيار المستخدمة وطريقة العمل، ولكن بالطبع لاقيت أشد محاولات الإقناع والمستنده كلها إلى المعرفة الشخصية وكلام الرجالة وأغلظ الأيمانات.

المهم أنني رفضت المبدأ وإن كان التيل قد تم تغييره في انتظار ما سيحدثنا به المستقبل القريب عن ثمن هذا التيل والذي كان كثيرا.. كثيرا جدا.

في الصيانة التالية للسيارة كانت المفاجأة أن التيل الذي تم تركيبه ليس من النوع الأصلي وأنه قد أخرج السيارة من الضمان وأنه في حالة بالية يستلزم معه تغييره بل وتغيير الطنابير لإنها قد تلفت من جراء استخدام هذه القطعة الغير أصلية والتي ستتكلف حوالي ثلاثة ألاف جنيه مصري دفعتها صاغرا من أجل أن يوفر لي الموظف خمسمائة جنيه.

بالفهلوة وفروا لي خمسمائة جنيه وبالفهلوة أيضا أجبروني أن أدفع ثلاثة ألاف جنيه أخري. ولا حول ولاقوة إلا بالله.

نعم.. أخطأت عندما قبلت الفكرة من الأساس ولكنني لم أطلب منه أن يفكر فيما يظن هو أنه مصلحة لي، بل ولم أطلب منه أن يقوم بالتغيير ويجبرني عليه وهو يظن أنه يعمل في معروفا.

ولازلت أوقن أنكم ستقولون أننا لايمكننا أيضا التعميم، ولازلت عند موافقتي لكم بعدم التعميم مع إعتقادي اليقيني أن الفهلوة المصرية موجودة فينا جميعا كنوع من أنواع الجينات الوراثية المتأصلة التي أصبحت تميز تصرفاتنا اليومية الإجتهادية والتي نرجعها جميعا إلى حسن نيتنا عند قيامنا بها وأن قلبنا على الشغل وأننا نشعر بأننا أصحاب العمل لا موظفين فيه وهو مايعني قمة الولاء والإخلاص لصاحب العمل الذي يقتله كل يوم مائة دب من خوفهم عليه من الذباب.

عندما بدأت العمل في مصر منذ حوالي ثلاث سنوات قررت أن تكون مواعيد العمل بالشركة منذ الساعة التاسعة صباحا وحتي الخامسة مساءا وذلك تمشيا مع المواعيد

المعمول بها في مصر وإن كنت أبدأ أنا العمل منذ الساعة الثامنة صباحا حسبما تعودت ولكن تظل هذه مشكلتي أنا الشخصية التي لاأستطيع فرضها على الموظفين.

المهم أنني كنت أعاني أشد العناء مع الموظفين من أجل الإلتزام بميعاد العمل والذي يبدأ في التاسعة صباحا – وهو ميعاد متأخر جدا – ولكن كان للموظفين رأي أخر أن المواصلات وزحام الطرق لن يمكنهم من القدوم مبكرا وأنني يجب على قبول واقع الأمر في مصر وهو بطبيعة الأمر نوع من أنواع سياسة الذراع التي قام الموظفين بتطبيقها على ولم أستطيع تغييرها كنوع من إظهار التفهم لظروفهم المواصلاتية والتي كنت أمل أن يتم تقديرها في المقابل.

المهم أنه وبعد فترة قصيرة جدا بدأ التأخر في الحضور حتى التاسعة والربع يشكل ظاهرة عامة في الشركة، الأمر الذي جعلني أتوقف لمراجعة الموظفين ومحاولة إثنائهم عن هذا التأخير ولكن المفاجأة كانت أقوي من حجتي..

إن قانون مكتب لعمل المصري يعطي الموظفين الحق في التأخر لمدة ربع ساعة بدون خصومات ويلزم صاحب العمل على قبول هذا المبدأ من باب الترفق بالقوارير – الموظفين.

وعندما بدأت في التحدث إلى الموظفين عن هذا التأخير وجدتهم جميعا على علم بحقوقهم التي يكفلها لهم مكتب العمل ويصدرها في مطبوعاته المسماه لائحة العمل والتي يتم تعليقها في لوحة الجزاءات حتى يكون رب العمل والموظفين على علم تام بحقوقهم التي يحاول رب العمل أخذها منهم قسرا.

ولهذا قمت بقراءة هذه اللائحة ودراستها حتى أستطيع التعرف على حقوق الموظفين لدي وحقوقي كصاحب عمل أيضا وذلك من أجل توفير بيئة عمل صحية تساعد

الموظفين على العمل والإبداع كما تساعدني على جني أكبر قدر من الإستفادة الشرعية من هؤلاء الموظفين. وهو ماساعدني على إكتشاف سر هذه الخمسة عشر دقيقة التي يوفرها مكتب العمل كنوع من أنواع الإستثناء تُمكن الموظف من التأخر في حالات الطوارئ – فقط في حالات الطوارئ – بدون تطبيق أي غرامات أما في حالة الزيادة عن هذه الفترة الإستثنائية فيتم تطبيق الغرامات والجزاءات التي يحددها قانون العمل.

وقمت بعرض الأمر على الموظفين والذين لم يوافقوني على هذا المدخل حيث أصر المتذرعين منهم على أن الطرق والزحام والمرور هو أمرقهري لايد لهم فيه وأنهم لهم الحق في هذا التأخير.

وفكرت مرة أخرى وبحثت في قوانين مكتب العمل كنوع من أنواع التعامل الآدمي مع ظروف الموظف المصري المقهور بزحام الطرق وسوء المواصلات حتى وجدت حلا أخر يغنيني عن السؤال. فطالما أن مكتب العمل يعطيني الحق في عدد ساعات عمل محددة أسبوعيا من أربعين إلى ثمانية وأربعين ساعة، لذا فقد قررت أن يكون ميعاد بدء العمل هو في الساعة الثامنة والنصف بدلا من التاسعة وهو مايعني أن عدد ساعات العمل سيصبح إثنان وأربعين ساعة ونصف بدلا من أربعين ساعة وهو مايتماشي مع قوانين مكتب العمل.

وحتي أثبت تفهمي لظروف الموظفين المعيشية والمواصلاتية فقد قررت أيضا أن يكون السماح هو لمدة نصف ساعة بدلا من الربع ساعة التي يوفرها لهم مكتب العمل بحيث يستطيع الموظف أن يأتي حتى الساعة التاسعة بدون توقيع أي جزاءات عليه على أن يتم خصم نصف يوم بدأ من الدقيقة الأولى بعد التاسعة.

طب والله أنا إبن حلال وأحن عليهم من مكتب العمل اللي إداهم ربع ساعة وأنا رفعتها لهم لنص ساعة أهوه.

وبدأنا في تطبيق ثقافة الذراع لأول شهر حيث أصر الموظفين في مجملهم على التأخر لما بعد التاسعة كنوع من أنواع إثبات حقهم وأن تأخرهم السابق لم يكن بسببهم ولكن بسبب ظروفهم التي أسهبوا في شرحها وإثباتها، ولكنني كنت قد عزمت على أن أقابل الذراع بالذراع وأن القانون الذي قمت بسنه هو ماسنقوم جميعا بتطبيقه. وبعد إنقضاء الشهر الأول كان إجمالي الخصومات الموقعة على الموظفين يزيد عن عشرة بالمائة من إجمالي الرواتب الشهرية، ولكن هذا لم يثنيني عن تغيير القاعدة التي تتوافق مع قوانين الدولة ورؤية صاحب العمل ومصلحة العمل على السواء.

في الشهر الثاني كانت المفاجأة بأن بدأ الموظفين في الإنتظام والحضور قبل التاسعة بدقائق ولكن في النهاية كان الحضور قبل الساعة التاسعة وهو مايعني أنه يمكنهم الحضور في الميعاد المحدد ولكن لعلمهم بقاعدة الهدف الذهبي –قاعدة الربع ساعة سماح –كانوا يستغلونها كحق أصيل لا كإستثناء عند الحاجة.

أما الآن فقد أصبح الجميع ملتزما بالحضور في الميعاد المحدد بل وقبل الميعاد أيضا، ولكن فهلوة الموظف المصري لاتنتهي لإنهم قد بدأوا الآن في الحديث عن التأخر بعد ساعات العمل وهو أمر قد يحدث مرة كل شهرين أي بمعدل ستة مرات في السنة على الأكثر في حالة احتياج العمل وهو مالايجب أن يحدث في شركة تعمل في الإدارة وتعطي نموذجا للإنضباط الإداري لعملائها ولكن بطبيعة الأمر قد نحتاجه كنوع من أنواع الإستثناءات لا كطبيعة عمل.

ولإن موظفينا يلتزمون في الصباح، فقد بدإوا الآن في البحث عن عدم الإلتزام في المساء وهو الأمر الذي لم يكن محل نقاش في الأعوام الماضية ولكن عندما بدأنا في التعامل مع ثقافة الذراع بالذراع بدأوا هم أيضا في البحث عن أذرع جديدة تمكنهم من فرض مطالبهم. لقد سئمت هذه الثقافة.

هل فقدنا إحساسنا بأهمية الوقت، الأمر الذي يجعله مجالا للتشابك والمفاوضة؟

هل أصبحنا من الهمة والتقدم والإبداع الفكري والتنفيذي للدرجة التي تعطينا الحق لكي نحاول أن نريح أنفسنا وأن نعمل على توفير نصف ساعة من إجمالي ساعات عملنا؟

أنا أعتقد أننا في حاجة ماسة لإن نعمل حوالي خمسين ساعة يوميا في مختلف القطاعات وفي مختلف الأنشطة والإتجاهات، ليس فقط أن نتواجد في أماكن عملنا، بل أن نعمل ونجتهد ونبذل أقصي جهودنا حتى نستطيع أن نلحق بمن سبقونا في أوروبا والدول المتقدمة في خلال العشرين سنة القادمة.

إن الإلتزام بالوقت هو دلالة على زيادة الحس بالمسئولية، هو دلالة على احترامنا لمصدر رزقنا، بل هو دلالة على احترامنا لذاتنا وإشارة لصاحب العمل على أننا أهل لثقته فينا وفي قدرتنا على تحمل مسئوليتنا.

إلي كل مثقفي مصر ومحبي هذا الوطن الغالي:

وقتنا هو ثروة حبانا بها الله، فلاتفرطوا فيها.

إجعلوه مقياس تقدم لا أداة قياس.

إجعلوه عنوان رقي لا دليل حضور وإنصراف.

قاوموا الفهلوة بالإلتزام، قاوموا التسيب بالإنضباط، قاوموا فكر الذراع بقوة العقل.

إذا كنا لانملك المقومات الإقتصادية التي تكفل تقدمنا ولا المقومات التكنولوجية التي تساعدنا على المنافسة ولا المقومات النظامية التي تضمن تحقق تفوقنا، فإننا وبكل تأكيد لازلنا نملك من الوقت الكثير الذي سيمكننا – إن أحسنا إستغلاله – من تحقيق كل هذا إن أردنا.

قد يكون هذا الشعب مريضا بداء عضال يستشري في جسده ويتمكن منه، ولكنه أبدا لن يموت.

أبدا لن يموت شعب فيه خير أجناد الأرض.

أبدا لن يموت شعب يقطن هذه الأرض التي من دخلها كان أمنا.

أبدا لن نموت إن نحن أظهرنا بعض الاحترام لوقتنا وعملنا وتعاملاتنا، على أن نقوم في نفس الوقت بتجهيز بعض معامل الهندسة الوراثية للبحث عن جينات الفهلوة وعملنا على إستنصالها لنعيد تكوين الإنسان المصري الأصيل – بدون فهلوة.

WHO
CARES?

شيزوفرينيا
إيه ده ؟ ده مافيش لاعيبة في الملعب أساسا ؟ !
أنا مش مبسوط من الدور إللى الإعلام بيقوم بيه
ومن موقعى هنا أنا بأقول اللعيبة مش فى الفورمة خالص
الصراحة أنا شايف إن الجماهير غير ملتزمة

شيزوفرينيا . . شيزوفرينيا

من منا لايصدق في إنتشار ثقافة الذراع في عموم الشعب المصري سواء بالتطبيق أو بالإستسلام إلى التطبيق؟

من منا لايشعر بمستوي الإنحدار الذي نسير فيه ونحن مغمضين أعيننا حتى لانري الهوة التي نحن إليها سائرون؟

من منا لم يكتوي بنيران هذه الثقافة ولم يجلس في موضع المُستَحَل وهو يشعر بالخزي لما أوصلنا إليه أنفسنا؟

إنني على أشد القناعة بأننا جميعا ننظر من نفس النافذة لنري نفس المشاهد ونسمع نفس التعليقات ونكتوي بنفس النيران، بل أنني على أشد القناعة بإن كل واحد منا يستطيع أن يكتب مجلدا كاملا عن معاناته مع هؤلاء المتذرعين من حوله وهم يستحلون أدميته ومصريته ببرود يحسدون عليه.

منادي السيارات الذي يستوقفك وأنت خارج بسيارتك من الموقف وينظر إليك وكأنه يأمرك أن تعطيه المعلوم حتى تشعر بينك وبين نفسك أنه على حق وإنك إن لم تدفع له فكأنما أنت تسرقه.. إستحلال

عامل محطة الوقود الذي يتلكأ في تلميع زجاج سيارتك بعدما تنتهي من تعبئة سيارتك حتى يجبرك على ترك المعلوم وبحيث أنه إذا لم يكن متوفرا لديك جنيهات فكة فإنك تعتذر منه وتضع وجهك في الأرض وأنت تفر من أمامه.. إستحلال

عامل نظافة التواليت الذي يخبئ ورق التواليت المجاني ليعطيه إليك عند دخولك وكأنه يتفضل عليك ويعطيك من أملاكه لتجد نفسك مضطرا لأن تعطيه مالايستحقه عن خدمة لم يؤديها.. إستحلال

سائق السيارة الذي يسير في مسار ثعباني متنقلا بين الحارات المرورية وكأن بحوزته صكوك ملكية هذه الحارات وهو يطالبك بالإبتعاد عن طريقه عندما ينظر لك نظرة مرات الأب إن أنت وقعت في مساره الأفعواني.. إستحلال

من قام بركن سيارته في صف ثاني أمام سيارتك ليقضي مصلحة له على عجالة ويطالبك بأن تنتظر حتى ينتهي بل وعلي إستعداد لإن يدخل معك في شجار لإنك لم تستطيع معه صبرا.. إستحلال

عسكري المرور الذي ترك وظيفته في تنظيم المرور وأصبح يعمل في التفتيش على المخالفات وتثمينها.. إستحلال

المدرس الذي يقبل أن يدرس لخمسين تلميذا في مركز تعليمي ولايستطيع ذلك في المدرسة.. إستحلال

الجزار الذي وصل بسعر الكيلو إلى ستين جنيها ولم يخاف أن تقل مبيعاته لإن الغنم كثير أكلين ومأكولين.. إستحلال

والمهندس والطبيب والمحامي والترزي والمكوجي والحلاق.. كُلنا نستَحِل كُلنا.

كُلنا نجلس في نفس المقعد الذي أصبحنا لانملك غيره.. مقعد واحد يستحل فيه بعضنا البعض لكي نكون اليوم مُستَحَلين ثم نأتي غدا لنكون نحن المُستَحِلين.

كُلنا نستَحِل كُلنا.

كُلنا لانوافق على كل ماذكرته بل ونحكي عن معاناتنا وتضررنا من هؤلاء الذين يستحلونا كل يوم، بل كل لحظة في سبيلهم لكي يحققوا مايريدونه غير عابئين بنا ولا باحتياجاتنا ولا بمكانتنا.

كلنا نشكو مر الشكوي من الحياة التي أصبحت صعبة وغير أدمية في مصر والحكومة التي لاتقوم بدورها والعشوائيات التي تحيط بنا وتفرض علينا ثقافتها والإعلام الذي يستبيح عقولنا ويلعب على مشاعرنا ليفرض علينا مايراه ويملي علينا أفكارنا. بل أننا كُلنا نشكو الأخلاقيات التي تغيرت والقيم الاجتماعية الجميلة التي أصبحنا نفتقدها في هذا الزمن المسخ.

كُلنا نرفض كلنا..

كُلنا نشكو كلنا..

كُلنا نستَحِل كلنا..

ولكن أين نقبع نحن؟ أين نجلس؟ ماذا نشاهد؟ كيف نري؟

لقد تحولنا جميعا فجأة إلى معلقين على المباراة يجلس كل واحد منا في كابينة التعليق ويفتح الميكروفون ويبدأ في التعليق على الأحداث حسب رؤيته وإنتماؤه ومزاجه الشخصي وقت التعليق. ولكن مكمن الكوميديا هنا أنه لايوجد فريق يؤدي ولايوجد لاعبين في الملعب ولكن يوجد جمهور كبير جدا من المعلقين الذين لم ينتبهوا إلى أن الملعب

أصبح خالي من اللاعبين وأخذتهم الحماسة ليعلقوا على بعضهم البعض بحيث يجلس كل معلق منا وهو ينتقد أرضية الملعب والقائمين على الصيانة والصوت العالي للمعلقين الآخرين وشاشة الإستاد التي لاتعمل وباب الكابينة الذي لايستطيع إغلاقه وزحام الطريق بالخارج ولكي يستكمل المشاهد الإبداعية فلابد من ذكر ماكان يحدث زمان عندما كنا نفعل كذا وكذا.. وكذا..وكذا..

نعلق على الأحداث وننسي أن هناك مباراة يجب أن تُلعب وأن لكل منا دوره في هذه المباراة وأنه لايصح أبدا أن نجلس جميعا في نفس المقعد، في نفس الجهة، في نفس الإتجاه لنري جميعا مايحدث أمامنا ولانري مايحدث خلفنا.

هل تستطيع أن تري مايحدث خلف ظهرك؟ بطبيعة الحال لايمكن لأحد منا ذلك إلا إذا وضع أمامه مرأة ليري فيها مايحدث خلفه وإن كان سيري كل شيء بالمقلوب بحيث أن اليمين في الصورة هو اليسار في الأصل

ولكني أعتقد أن الطريقة الصحيحة لرؤية مايحدث خلفنا هو أن نجلس في صفوف متقابلة بحيث يستطيع كل صف رؤية مايحدث أمامه والذي هو خلف الجهة المقابلة وأن نقوم بتعزيز الثقة بيننا حتى نصل فيها إلى المرحلة التي تؤهلنا لإن نتقبل رأي الذين يقفون أمامنا وفي عكس إتجاهنا لا لإنهم أهل ثقة ولا لإنهم يدينون لنا بالولاء ولا لإنهم يتفقون معنا في الرأي ولكن لإنهم يرون مالانراه وهو مايعني في المقابل أننا أيضا نري مالايرونه.

إن شدة الكوميديا التي نحياها ونعيش بها والتي لاتضحكنا ولكن للأسف أنها قد تبكينا أننا جميعا نرفض ثقافة الذراع وهذه الأساليب التي يتبعها الآخرين ونراهم جميعا وهم يدمرون مصرنا العزيزة بإصرارهم على أن يستحلونا ويسحلونا. ولكننا لاننظر إلى أنفسنا لنعرف إن كنا نحن أيضا منهم أو إن كنا قبلناهم وقبلنا فكرهم بل وطبقناه سواء بقصد أو بدون قصد لنصبح نحن أيضا من المتذرعين.

إنها حالة عامة من الإنفصام التي نحياها جميعا بدون ضجر أو إستغراب منا جميعا..

كلنا نلبس قناع المعلق الذي يرى أخطاء الآخرين ويرصدها ويعلق عليها ويقارنها بالزمن الجميل، وتأخذنا شهوة التعليق وتصاعد الأحداث لننسي أن ننظر لأنفسنا ونعلق على حالة الشيزوفرينيا التي وصلنا إليها لإننا وببساطة جدا نتذرع على الآخرين أو نقبل أن يتذرع علينا الآخرين ولكننا نجد لأنفسنا دائما الأسباب التي تقنعنا بسلامة موقفنا – موقف المضطريين في أغلب الأحوال –وإن كنا لانقبل هذه الأسباب للأخرين.

لقد وصلت الكوميديا مداها عندما قبلنا أن نتضرر من الآخرين الذين يؤرقون مضاجعنا بإستحلالهم لنا ونسينا أننا نحن أيضا بدافع الإضطرار نقوم بما يفعله الآخرين بدافع الإستحلال. نعم إنها قمة الكوميديا السوداء التي لانملك معها إلا الضحك حتى البكاء على ماوصلنا إليه مُستحَلين ومُستحِلين.

لقد قمت هنا بعرض بعض المواقف التي نتعرض لها جميعا في حياتنا اليومية وتجعلنا نفقد الأمل في الإصلاح لهذا البلد الآمن –سواء رضينا أو أبينا –وتعطي كل واحد منا الذريعة لكي يشكو البلد والقائمين عليها وأخلاقيات الناس والتعاملات بل وتعطي شبابنا الحجة لكي يهربوا في مراكب بالية – يغرق معظمها – لكي يذهبوا إلى أوروبا والدول المتقدمة، ولكنني أود أن تذهبوا بفكركم إلى أبعد من هذا.. بعيد عن نظرتكم لما حولكم

إذهبوا إلى داخلكم.. إلى أغوار أنفسكم.. إلى أعماق شخصيتكم

من منا يسير في الحارة المرورية المخصصه له؟ وطبعا ستقولون أنه لايوجد حارة مرورية ولايوجد خط أبيض فاصل في معظم طرقنا، ولكن من منا يصر على السير في طريق مستقيم واضح ومحدد له –حتى وإن لم تقم الحكومة بتحديده بخط أبيض – بدون أن يجور على من حوله.

من منا يصر على أن يقضي مهامه بدون الإستسلام لطالبي الإكراميات والقهوة والشاي والفطور والغداء؟ وطبعا ستقولون أنكم لن تتمكنوا أبدا من إنهاء معاملاتكم بدون هذه الأساليب والمقننات الاجتماعية الإلزامية، بل إن البعض منا قد يذهب إلى تكليف أشخاص أخريين لإنهاء هذه المعاملات وتولي مقنناها وكأنه بهذا قد ألقي بتبعتها من على كاهله، ويبقي السؤال عن قدرتنا على أن نسير في طريق مستقيم واضح محدد له بدون أن نجور على حق أحد أو أن نسمح لأحد أن يجور على حقنا.

من منا يقف في الطابور؟ وطبعا سأجد الكثيرين منا يجيب أنه يقف إذا أضطر لذلك، ولكنني أسأل عن من يقف في الطابور ليس لإنه مضطرا ولكن لإن هذه هي القاعدة، عن من يقف في الطابور وهو لايشعر بحرج في ذلك ولايتململ من الانتظار ولايمني نفسه بأن يهبط عليه طائر الرخ لينتشله من وسط هذا الطابور ويضعه في المقدمه لينهي معاملته.

من منا لايري السوء في مجتمعنا؟

ولكن من منا يعمل بصدق وأمانه على أن يغير نفسه أولا قبل أن يطلب من الآخرين أن يتغيروا..

من منا يصدق أنه هو بذاته ثقل في هذا المجتمع حتى وهو فرد واحد وسط ثمانين مليون، قد تكون النسبة خيالية للبعض ولكنها في علم الحساب نسبة صحيحة يمكن استخدامها في معادلات حسابية وتؤدي إلى نتائج صحيحة.

نعم واحد من ثمانين مليون هي نسبة يتم قبولها بشرط أن تكون صحيحة، بشرط أن تكون خالية من الشيزوفرينيا، بشرط أن يكون الواحد منا هو واحد صحيح إذا قسمت عليه أي رقم كان الناتج هو رقم صحيح أيضا. فالواحد الصحيح هو الرقم الوحيد الذي يعطي ناتج ضربه أو القسمه عليه رقم صحيح.

دعونا نخرج من حالة الشيزوفرينيا التي تسيطر علينا، دعونا ننظر إلى داخلنا لنري كم التذرعات التي نقوم بها ونقبلها من أنفسنا حتى نستطيع إذا رأيناها في غيرنا وتألمنا منها أن نعرف كم الألم الذي نسببه لمن حولنا.

دعونا نقف معا واحد صحيح بجانب واحد صحيح لنكون معا فريق الأمل، لنبدأ معا أول طريق الإصلاح بشرط أن لانفقد الأمل لأنه لن يفيدنا أبدا أن نري الطريق وقد سُد علينا وأنه لايوجد مخرج من هذا النفق المظلم وإلا سنكون قد أوصلنا أنفسنا إلى مانحن فيه الآن من الإستسلام لما هو كائن وقبولنا أن نُستحَل وتعايشنا مع الثقافة التي لاتريد منا فقط إلا قبولها.

إن كنت لاتعلم قدرك ولا قدراتك، فإعلم أن الله لن يحاسبك على مايفعله الآخرين من صلاة وصيام ومايفعله البعض الآخر من سيئات ومعاصي، ولكنك ستحاسب على أفعالك وقناعاتك ودروك في خدمة مجتمعك. فلاتلقي بالتبعية على الآخرين لأنهم أوصلونا إلى ماوصلنا إليه وتنسي أنك أنت أيضا مطالب أن تبدأ دورك ولو بنفسك ولنفسك في الإصلاح وأن تقبل أن تكون واحد صحيح يفعل الصحيح ولايقبل إلا الصحيح

إذا عزمت على التصحيح، فإبدأ ولو بنفسك لتكون أنت نفسك.. واحد صحيح.

ثقافة بالدراع

ثقافة.... تبدا كمحاولة وتنتهي بالإدمان

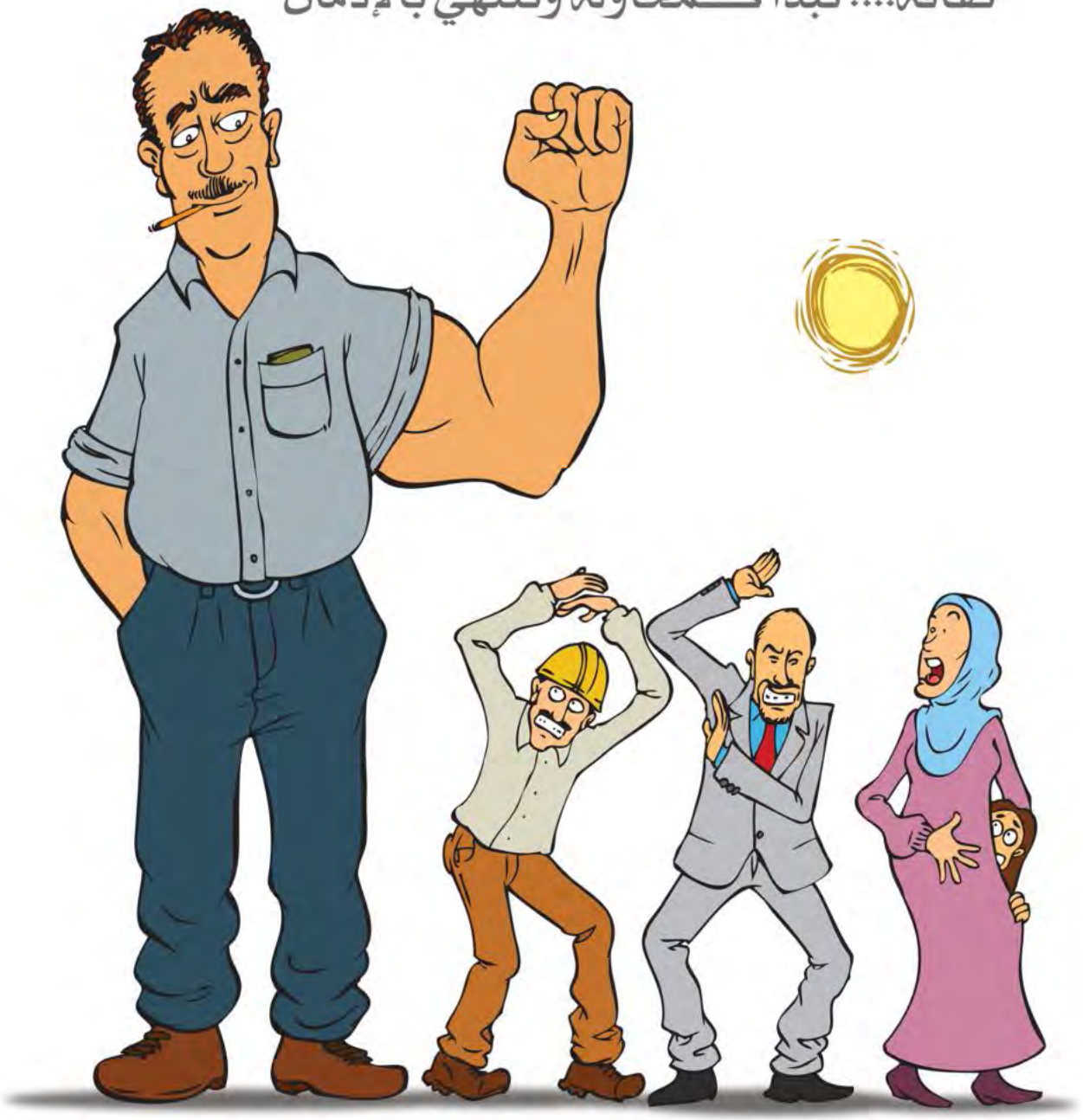

ثقافة بالدراع

سؤال يفرض نفسه علينا ويحتاج لإجابة متأنية من كل منا:

هل لإننا نسير في منحدر فإننا حتما سننتهي إلى القاع؟

هل المنحدر هو طريق يصل دائما بين القمة والقاع ومن سلكه سينتهي به الأمر إلى أن يقبع في القاع ومن سلك عكسه وتكبد مشاق صعود المنحدر هو في طريقه إلى القمة؟

إنني أعتقد أن الكثيرين هنا يتفقون على ماهية المنحدر وإتجاهه من القمة إلى القاع هندسيا، ولكنني أود أن أخذكم إلى البعد الفلسفي في تفسير المنحدر..

إننا عندما نكون متجهين في إتجاه المنحدر تزداد سرعتنا بفعل الجاذبية عن معدلاتنا أثناء الصعود كما أن زاوية الرؤية لدينا تتسع نظرا لإن إتجاه الرؤية لإسفل يتوافق مع إتجاه أجسامنا التي تتجه هي الآخرى للأسفل عنه في الصعود والذي نحتاج إلى مجهود لنرفع رؤسنا إلى أعلي لتزيد من مساحة الرؤية لدينا.

أو بمعني أخر، فإن الطريق المنحدر هو الأسهل لنا عن إتجاه الصعود العكسي حيث تكون أجسامنا ورؤسنا متوحدة مع إحساسنا بالإتجاه إلى أسفل ولانحتاج إلى استخدام

عضلاتنا لنرفع رؤسنا إلى أعلي. على الصعيد الأخر فإن الإنحدار يزيد من سرعتنا وهو مايعطينا الإحساس الزائف بالمغامرة الأمر الذي قد ينسينا أننا نتجهه إلى القاع وأن إتجاه القمة خلفنا.

ولكن يظل السؤال قائما: هل الطريق المنحدر لابد أن يؤدي بنا إلى القاع؟

لقد كنا ونحن صغارا نذهب إلى الملاهي لنركب المرجيحة التي نعمل بقوة لندفعها إلى أعلي ثم نستسلم لها وهي تتجه إلى أسفل حيث لانقوم بأي مجهود ونتركها تهوي إلى القاع ومن ثم تولد قوة دفع ذاتية لتصعد بنا مرة أخرى إلى أعلي وهكذا دواليك.

أي أننا لكي نصعد إلى أعلي، فهناك طريقان لاثالث لهما:

الطريق الأول: أن نقوم نحن بالمجهود ونولد قوة الدفع التي تأخذنا في عكس قوة الجاذبية لتصعد بنا إلى أعلي بشرط أن تكون القوة التي سنولدها أكبر من المقاومة التي تعوق طريقنا والمتمثلة في إرتفاع الطريق وشدة الميل والتي تتطلب قوة دفع إضافية وقت بداية الطلوع تتناقص بالتبعية كلما زاد الإرتفاع وقلت شدة المقاومة.

الطريق الثاني: أن نستغل طريق الإنحدار والذي يتولد عنه قوة دفع ذاتيه تزيد من إرتفاعنا بدون مجهود منا بشرط أن لانقوم نحن بتوليد مقاومة تعيق تقدمنا الذي إكتسبناه من شدة إنحدارنا.

لهذا، فإننا نكون دائما مطالبين بإستغلال شدة الإنحدار كمصدر توليد طاقة دفع ترتفع بنا إلى أعلي مع بذل بعض المجهود كلما إتجهنا مرة أخرى إلى أعلي لنصل إلى الإرتفاع الذي نريده. فقط تذكروا المرجيحة التي كنا نركبها ونحن صغارا لتصلوا إلى القناعة أن الإنحدار هو مصدر طاقة قد يصل بنا إلى أعلي فقط إذا ماحركنا أرجلنا حتى

ونحن وقوف.

ولإن الحياة تسير بنا جميعا في مسار منحني متقلب بين الصعود والهبوط لايثبت أبدا عند نقطة واحدة، بل أننا كلما زاد إرتفاعنا تأكدنا أننا في طريقنا إلى بداية دورة الهبوط مرة أخرى ليس لتقاعسنا أو فشلنا، ولكن لإن هذه هي طبيعة الحياة التي لاتثبت أبدا عند وضع ثابت من الإرتفاع أو الهبوط ولكنها دائما تتأرجح بين هذا وذاك.

والأمثلة كثيرة جدا على الأمم التي وصلت في وقت من الأوقات لأن تتسيد العالم ثم أتي عليها الزمان لتصبح في طي النسيان، ولكم في الأمم السابقة عبرة ياأولى الألباب.

هل لي أن أذكركم بقوم عاد وثمود الذين لم يخلق مثلهم في البلاد.. أين هم الآن وماذا حل بهم؟

هل لي أن أذكركم بالفراعنة الذين أقاموا حضارة لازالت أثارهم شاهده عليهم إلى الآن.. أين هم الآن وماذا حل بهم؟

هل لي أن أذكركم بدولة الفرس والروم الذين كونوا إمبراطوريات في أقاصي الأرض.. أين هم الآن وماذا حل بهم؟

هل لي أن أذكركم بالإتحاد السوفيتي الذي كان القوة العظمي الثانية في العالم.. أين هم الآن وماذا حل بهم؟

وطبعا سيخرج على البعض ليقول لي أن كل هذه الدول قد خرجت من ساحة النزال بعقاب إلهي لتَجبُرهم في الأرض.. ولن أعارض هذا المبدأ وإن كنت لازلت على قناعة أن بزوغ نجم هذه الأمم وأفولها ماهو إلا إثبات للمبدأ الأساسي أن الحياة تسير بنا في مسار منحني بين الصعود والهبوط وأنه لايمكن لأحد مهما كانت قوته أو جبروته أو

إمكانياته أو قدراته أن يستمر إلى الأبد في الصعود أو حتى في الحفاظ على القمة، ليس لضعفه أو إنهزاميته ولكن لإن هذا هو أساس الخلق الذي يجب علينا قبوله والعمل به. لن نظل قابعين في القاع حتى وإن عملنا جاهدين لنبقي تحت كما أننا لن نستطيع أن نحافظ على الصدارة حتى وإن منعنا الآخرين من الإقتراب منها.

وحتي نكون أكثر واقعية ولايأخذنا الحديث عن الماضي إلى مسألة فلسفية يقبلها البعض ويرفضها البعض الآخر، فإنني أذكركم هنا بما حدث من عشرين سنة فقط عندما كانت الكويت دولة أمنه يعمل بها الكثير من المصريين منذ عشرات السنين وقد استطاعوا أن يكونوا ثروة من مجهودهم وتعبهم تقيهم شر الزمان. ولكن ماذا حدث؟

بات إخواننا من المصريين وغيرهم من الجنسيات الآخرى ليلتهم وكل منهم يمتلك في البنك مدخرات عمره التي عمل جاهدا لتكوينها وهو لايشك للحظة أن تكون هذه هي الليلة الأخيرة له مع ثروته، ليصحو في صباح اليوم التالي ليجد نفسه وهو لايجد ثمن جالونات البترين التي ستخرجه من نار الغزو، يصحو ليجد نفسه وقد أخذ طريق المنحدر السفلي حيث ذهبت كل قوته المالية والوظيفية والاجتماعية أدراج الرياح.

فجأة وبدون أي مقدمات تبدل بنا الأمر من شدة القوة إلى منتهي الضعف..

فجأة وبدون مقدمات تبدل بنا الأمر من أعلي المنحني إلى القاع..

فجأة وبدون مقدمات أصبح المصري الذي لم يجد فرصه للسفر إلى الخارج ليحسن من وضعه، هو نفسه من يعطف على أخيه المصري الذي كان يملك بالأمس – الأمس القريب جدا – مايحسده عليه الكثيرين.

إنني لاأتحدث عن أقوام لم نراهم ولم نعايشهم مثل قوم عاد وثمود، إنني لا أتحدث عن

أقوام نري شواهد حضارتهم ولانعلم سر قوتهم مثل الفراعنة القدامي، إنني لاأتحدث عن إمبراطوريات حاربها أجدادنا ولانعلم منهم إلا ماذكرته الكتب والسير مثل الفرس والرومان. إنني أتحدث عن إخواننا الذين عايشناهم ورأينا منحنيات صعودهم وهبوطهم رُأي العين.

إنني أتحدث عن تجربة رأيناها جميعا وعايشناها، بل ولايوجد بيت عربي واحد يخلو من قصة أو مأساة حدثت له أو لأحد من أقربائه في هذا الحدث..

نعم.. هذه هي الحياة بعض الوقت فوق إلى أقصي حد والبعض الآخر تحت إلى الحد الأقصي..

وهو ماأعتقد أنه يماثل نظرية المرجيحة التي كنا جميعا نلعبها ونحن صغارا، نقف في المرجيحة وهي ساكنه في انتظار أن يدفعنا أحد ثم نبذل مجهودا في توليد قوة دفع لترفعنا إلى أعلي ثم ننتظر لحظات الهبوط لنستريح حتى إذا ماأقتربنا من القاع قمنا بالتحرك مرة أخرى لتوليد قوة دفع إضافية لتعلو بنا مرة أخرى إلى أعلي.. وهكذا دواليك حتى نهاية اللعبة.

فإن كنا نصدق أننا في طريقنا إلى القاع وأننا إقتربنا جدا من نهاية الهوة، فإنني أعتقد أن شدة الإنحدار الذي سرنا فيه لابد وأن تولد فينا طاقة دفع يمكن إستغلالها لتعلو بنا مرة أخرى إلى أعلي شريطة أن لانقوم نحن بتوليد مقاومة إعاقة لقوة الدفع الذاتية المتولدة عن شدة الإنحدار.

عندما نشكك في قدرتنا على التغيير.. فهذه هي مقاومة لقوة الدفع الذاتية

عندما نري أنه لايوجد حل.. فهذه هي مقاومة لقوة الدفع الذاتية

عندما نستسلم لثقافة الذراع.. فهذه هي مقاومة لقوة الدفع الذاتية

عندما نقبل أن نُستحَل.. فهذه هي مقاومة لقوة الدفع الذاتية

إنني على يقين أننا في طريقنا إلى أعلي لإننا قد قاربنا الوصول إلى أدني مستويات القاع في كل شئ..

في الأغاني إنحدرنا حتى أننا أصبحنا نخاف على أولادنا من الأغاني وكلماتها المتدنية وتصويرها الذي يخاطب الغرائز وألحانها التي لاتنم عن أي إبداع

في الرياضة إنحدرنا حتى أصبحت ملاعبنا ساحة قتال وتراشق تخبرنا عن قتل الروح الرياضية مع سبق الإصرار والترصد وأصبح ميلاد بطل أوليمبي كل عشر سنوات هو عيد قومي نحتفل به

في الصناعة إنحدرنا حتى أصبحنا لانبتكر أي منتج جديد ونكتفي فقط بتجميع مايبتكره الآخرين لنقوم ببيعه في أسواقنا وبمستوي جودة.. حدث ولا حرج

في التعليم إنحدرنا حتى أصبحنا نبحث عن الطرق الشرعية وغير الشرعية التي تمكن أولادنا من الحصول على أعلي الدرجات للإلتحاق بكليات القمة ولانبحث عن ماتعلمه أولادنا حقا

نعم إننا نجري في المنحدر بسرعة ولانستطيع إيقاف إنحدارنا لأننا بدأنا في فقد القدرة على الإيقاف، ولكن هذا لايعني أن نفقد الأمل في أننا نستطيع أن نعلو مرة أخري.

إننا الآن في أفضل وقت للصعود مرة أخرى إذا نحن أردنا وإقتنعنا أن هذه هي سنة الحياة، وأن الهبوط هو بداية أكيدة للصعود والترقي في دورة الحياة كما أرادها الله

سبحانه وتعالي لبني أدم.

لإننا نسير نحو قاع الهوة فإن مساحة الرؤية لدينا تتسع بحيث نستطيع رؤية أدق تفاصيل الإنحدار الذي نحياه ونستطيع أن نري مشاكلنا عن قرب بل ونعيشها لتؤثر فينا وفي قرارتنا وهو ما لايكون متاحا عندما نكون في منطقة أعلي لإننا كلما زدنا في الإتفاع كانت حجم الرؤية لدينا أقل وهو ماتستطيعون تصوره لشخص ينظر إلى الشارع من الطابق العاشر حيث يرى السيارة بحجم علبة الكبريت ولشخص أخر ينظر من الطابق الأول حيث يستطيع أن يرى ويتعرف على من يجلس داخل السيارة بل ويتحدث إليه إيضا إن أراد.

نعم.. إننا ننحدر متجهين إلى القاع ولكننا نستطيع الآن أن نري مشاكلنا عن قرب وأن نري تفاصيلها بمنتهي الدقة وأن نعرف حجم المخاطر التي تحيط بنا من كل جهة ومدي تأثرنا بها إن نحن إستسلمنا لها. وهو مايعطينا ميزة إتساع الرؤية للمشاكل وبالتبعية لإمكانية الحل.

دعونا نركب المرجيحة الآن ونقوم بالدفع بمنتهي القوة لإننا قريبين من القاع حتى نستطيع أن ندفع المرجيحة إلى أعلي مرة أخرى وأن نبدأ دورة جديدة من الترقي قد تأخذ وقتا طويلا بحيث لايسعفنا الوقت لكي نستمتع بلحظة الوصول إلى القمة ولكن على الأكيد أن أولادنا من بعدنا سيستطيعون جني مازرعته أيدينا.

لماذا يجد المتذرعون الموارد المالية والبشرية والفكرية لإنتاج قنواتهم الفضائية التي تعيث في الأرض الفساد ولانستطيع نحن توحيد جبهتنا لتوفير الموارد التي نحتاجها لإنتاج قنوات تتصدي لهؤلاء المتذرعين؟

لماذا يستطيع المتذرعون إيصال أفكارهم إلينا عن طريق جريدة أو مجلة تحوي من توافه الأمور الكثير ولانستطيع نحن أن نرد عليهم ولو بجريدة واحدة تدفع بنا إلى أعلي؟

لماذا يستطيع المتذرعون أن يفرضوا متطلباتهم علينا في موقف السيارات ومحطة البترين ودورات المياه ولانقرر أننا لن نُستحَل بعد الآن وأننا لن نعطي إلا لمن يستحق ولمن يؤدي خدمة نطلبها لا خدمة هو يريدها؟

ألف لماذا تدور في الأذهان ولكن الإجابة تظل واحدة..

الآن، والآن فقط يجب علينا أن نقرر أننا نرفض أن نُستحَل أكثر من ذلك وأن يبدأ كل من بنفسه وهو على أتم القناعة أنه واحد صحيح وأنه يستطيع التغيير إذا أراد.

لاتقول أنك واحد على ثمانين مليون لإن النتيجة ستكون سلبية عليك وعلينا وعليهم، بل كن على قناعة أنك واحد في ثمانين مليون حيث النتيجة هي بالأكيد ثمانين مليون.

عملية حسابية بسيطة ولكن نتيجتها مذهلة.. إن كنت تستطيع إجرائها.

لإننا نتاج ماتم زرعه فينا من بذور التمرد علي مانملكه إلي حد مراقبة مايملكه الآخرون والتشكيك في طريقة حصولهم عليه بل وصولا إلي التصديق بعدم شرعية أو قانونية الطريقة التي وصلوا بها إلي ماهم فيه ، فقد نما بداخلنا الشعور بأننا مظلومون علي طول الخط ، بأننا لانستحق مانحن فيه ولاهم يستحقون ماهم فيه إلي الدرجة التي أعطت كل واحد فينا الحق في أن يأخذ بذراعه مايعتقد هو فقط أنه حقه

لقد صدقنا أننا مظلومون وأن الآخرين .... كل الآخرين ظالمين للدرجة التي جعلت كل واحد فينا يستحل الآخر

سائق الميكروباص يستحل سائق السيارة الملاكي ومنادي السيارات يستحق من يقود السيارة والشحات يستحل كل من لايشحت وعامل جمع القمامة يستحل صاحب البيت ..... والمدرس ..... والدكتور ..... والموظف

كلنا نستحل كلنا

هكذا أصبحنا قبل ثورة 25 يناير ... وأخوف ماأخاف علي المصريين أن يستمروا هكذا بعد الثورة لأننا وقتها سنحتاج لثورة أخري ليست علي النظام أو علي فلول النظام ولكننا سنحتاج لثورة جديدة علي طباع المصريين وعلي ثقافة الذراع التي جعلتنا جميعا نستحل بعضنا البعض ونحن نري كل من هم دوننا .... حرام .... حرام

بلطجة هو العنوان لما كنا عليه من ممارسات عاشها كاتب هذا الكتاب وشعر بمقدار التاخر الذي أقدمنا عليه بأنفسنا ونحن ننسي ماضينا الجميل الذي كنا نحياه وقتما كان الإنسان المصري هو إنسان يعيش بقلبه وروحه وعقله قبل أن يصبح إنسان يعيش فقط بذراعه.

بلطجة هو دعوة للتغيير

بلطجة هو دعوة لقبول الآخر

بلطجة هو دعوة لإحياء تقاليدنا الجميلة

بلطجة هو دعوة لكي لانعيش بالبلطجة

غلاف:عبد الرحمن الصواف

9 789776 376113